وليم شكسبير

بيريكليس
أمير صور

تعريب
أ. ر. مشاطي

إشراف
نظير عبود

دار
نظير عبود

Bibliotheca Alexandrina
01588845

بريكليس

أمير صور

وليم شكسبير

بيريكليس

أمير صور

تعريب

أ. ر. مشاطي

إشراف

نظير عبود

دار

نظير عبود

حقوق هذه الترجمة محفوظة
لدار نظير عبود
بيروت

بيريكليس أمير صور
أشخاص المسرحية

بيريكليس : أمير صور

هيليكانوس } سيدان من صور
إسكانيس }

أنطيوخوس : ملك انطاكية

ثالْيار : وزير انطيوخوس

سيمونيد : ملك بنْتابوليس

كليون : حاكم طرسوس

ليزيماك : حاكم ميتيلان.

سيريمون : سيّد من أفَسُس.

فيليمون : خادم سيريمون.

ليونين : خادمة ديونيسا.

قوّاد.

بولْتْ : خادمة.

وكيل القصر.

غُوير : قائم مقام جَوْقة

ثايسا : ابنة سيمونيد.

مارينا : ابنة ثايسا وبيريكليس.

ليكوريدا : مرضع مارينا.

ابنة انطيوخوس.

ديونيسا : زوجة كليون.

قوّادة.

ديانا : إلهة.

سادة وسيدات وفرسان وذوات وبحارة وقراصنة وصيادو سمك ورُسل وغيرهم.

تجري الأحداث في أمكنه مختلفة من آسيا الصغرى.

الفصل الأول

مقدّمة

في قصر انطاكية، حيث تبدو فوق المدخل رؤوس مقطوعة ومعلّقة بمسامير.

(يدخل غُوير).

غُوير : لإنشاد أغنية كانت رائجة في ما مضى
قام غُوير من رماد جثمانه المحروق وارتضى
أن يقلّد عاهات البشر المنوّعة
فشنّف آذانكم وأبهج عيونكم الملوّعة
وترنّم بهذه القصة أثناء الحفلات
والأعياد والأمسيات والسهرات
اذ كان السادة والسيدات في قديم الزمان
يتلونها للترفيه عن أنفسهم كالفتيان
وللإشادة بأمجاد الأبطال كالجبال الشاهقة
بما أن المآثر السالفة أفضل من اللاحقة
اذا وافقتم يا أبناء هذه الأزمنة الحديثة

وقد أينعت الأفكار وطابت الأشعار الجريئة
التي تستسيغونها، وأصغيتم الى من تغنّى بها
وتمنيت أن أحيا طويلاً وأستزيد من سماعها
وأستنفد زيت سراجي أثناء حياة أستعذبتها.
هل ترون هذه المدينة التي بناها وزيّنها
انطيوخوس الكبير، وعاصمة ملكه اتخذها
وجعلها أجمل ناحية في أرض سوريا كلّها.
ها أنا أكرّر ما قاله غيري بلهجة وادعة
ان هذا الملك اقترن بعروس رائعة
ماتت بعد أن أنجبت له طفلة زاهية
جميلة وذكية ذات عيون سوداء صافية
خلعت عليها السماء أفضل الصفات
فعشقها والدها المثلث اللعنات
حتى راودها عن نفسها واستغل ضعفها
وبئس الأب الذي على الفسق حرّضها
وكان عليه أن يحميها ويصون طهرها.
واذ وقع المقدّر القبيح المحظور بينهما
لم يعودا على المدى الطويل يأبهان لجرمهما.
لكن حسنها الباهر سرعان ما اجتذب الأمراء
لخطب ودّها والاستئثار بها حليلة سمحاء
ينعمون بقربها بما لذّ وطاب في غاية الإعزاز.

غير أن الأب فرض عليهم حلّ أعقدِ الألغاز
للاحتفاظ بابنته، وإبعاد طالبي يدها.
فطلب من كل راغب في الاقتران بها
بأن يحلّ الأحجية، وإلا أمر بقطع رأسه
حتى تراكمت الرؤوس المفصولة بفأسه
كما يدل على ذلك ما علّق منها فوق مدخل قصره.

(يشير الى الرؤوس المقطوعة)

وفي ما يلي أترك الحكم بين الورى
لعيونكم وهي نِعْمَ الشهود على ما جرى.

(يحرج).

المشهد الأول

في المكان عينه

(يدخل انطيوخوس ثم بيريكليس وحاشيته).

انطيوخوس : يا أمير صور الشاب، لا بد من أن تكون على علم تامّ بمخاطر المهمة التي تتعهد بإتمامها.

بيريكليس : أجل، يا انطيوخوس. وما دام المجد الناجم عن تحقيقها يدفعني الى الاقدام عليها، فأنا لا أبالي بالموت الذي قد ألاقيه في سبيل انجازها.

(تصدح الموسيقى).

انطيوخوس : أجلبوا ابنتي بلباس الخطيبة كأن الاله المشتري يودّ أن يعانقها. فإنها لمّا حبلت بها والدتها، زوّدتها الطبيعة بكل الحسنات الممكنة بعد أن أجمعت سائر الكواكب على منحها الروعة الكاملة بأبهى مظاهرها.

(تدخل ابنة انطيوخوس).

بيريكليس : ها هي آتية بحللها الربيعية، ومفاتنها تتلألأ مبرزة جميع مزاياها وفضائلها التي تمجد الانسان. وها هو محيّاها ككتاب مفتوح يطالعنا من خلال سطوره بكل سحر ودلال، بعيداً عن الشوائب والنقائص التي قد تتبادر الى الأذهان، بدون أن تمسّ حلاوتها الصافية كشهر العسل. فشكراً لكِ أيتها الآلهة التي زوّدتني بأحاسيس البشر وأوصيتني بتذوّق رحيق الحب، وأضرمت في أحشائي الشوق الى التلذّذ بثمار مثل هذه الشجرة السماوية. وإلا هلكتُ إن أوليت ظهري واجب الخضوع لتوجيهاتك المقدسة. فأعينيني على التنعّم بهذه السعادة الفائقة..

انطيوخوس : أيها الأمير بيريكليس...

بيريكليس : الذي يرغب في أن يصبح صهر انطيوخوس الكبير..

انطيوخوس : أمامك تظهر هذه الحورية كثمرة ذهبية خطرة الملمس. لأن وحوشاً ضارية تسهر عليها لكي تروّعك. ها هو وجهها الصبوح كالبدر التمام يدعوك الى التأمّل في

ملامحه وما يحويه من معاني السموّ الذي لا يتسنى لأي كان أن يستأثر به. واذا لم تستحقّ هذه النعمة، فموتاً تموت جزاء جسارة عينيك المحدّقتين في أنوثتها الساحرة. (يُريه الرؤوس المقطوعة). ان هؤلاء الأمراء المعزّزون في ما مضى بما تمتّعوا به من سمعة طيبة وشجاعة نادرة هم خير نذير بألسنتهم الخرساء وسحنهم المكْربة لردعك عن خوض معركة قد تكون شؤماً عليك بمقدار ما أصاب سابقيك من سوء الطالع حين لاقوا حتفهم في ميدان هذا الحب الجارف. وهم بوجوههم الدامية القاتمة ينصحونك بأن تقلع عن رغبتك هذه الجامحة في الارتماء بين أحضان الموت الزؤام.

بيريكليس : أشكرك، يا انطيوخوس. لأنك بيّنت لي هول هذه المغامرة الغامضة ولفتّ انتباهي الى بشاعة الخاتمة الهائلة التي ربما أمست من نصيبي. ان صورة الموت هي في الواقع مرآة تعكس نفحة الحياة، ومن غير المعقول أن نرتكب خطأً عدم إتّقاء شرها. لذا سأكتب وصيّتي كما يفعل المريض المنازع المشرف على الموت، الذي بعد أن ذاق حلاوة الدنيا، يتمسّك بأهداب الحياة، كي لا يحرم نفسه أفراح الأرض. وهكذا أفسح مجال العيش بسلام، لك ولجميع أهل الخير على وجه البسيطة كما يتحتّم على كل أمير أصيل أن يفعل. وسأترك جميع أرزاقي الى اخواني في البشرية على هذه البسيطة من

حيث أتتني. (يتوجّه الى ابنة انطيوخوس) : ولكِ شعلة حبي الظاهر التي لا تنطفئ. وبذلك أكون على أتم الاستعداد لمواجهة الحياة والموت على حدّ سواء. وأنا لا أخشى أن أتلقى أقسى الضربات، يا انطيوخوس، رغم كل التحديات التي تعترض سبيلي.

انطيوخوس : اذاً إقرأ الأحجية. وبعد الاطلاع عليها، اذا لم تتمكّن من حلّها، فالقرار المتّخذ يقضي بأن تموت نظير الذين تُبْصر رؤوسهم معلّقة ها هنا.

ابنة انطيوخوس : على كل حال أتمنى لك النجاح والحظ السعيد. ولكي لا تهلك، لا بدّ لك من أن تتوصّل الى الحلّ المنشود.

بيريكليس : سأخوض المعركة مثل بطل ظافر، ولن أطلب نصح أحد، معتمداً على فطنتي وشجاعتي.

(يقرأ اللغز).

« أنا لست أفعى ولا ألْدغ
جسم أمي التي أنجبتني.
وفيما كنت أبحث عن زوج مناسب،
وجدت العطف لدى والدي،
لأنه أب وابن وزوج صالح،
ولأني أمّ وزوجة ولا أزال ابنة.

فكيف يجتمع هؤلاء الفرقاء الثلاثة في شخصين فقط؟ »

عليك أن تجد الحلّ المناسب إذا أردت أن تعيش. هذا شرط مرهق. فيا أيتها القوى الخارقة الطبيعة التي تجهّز السماء بعيون لا تحصى من النجوم لمراقبة أعمال البشر، لماذا لا تختبئين خلف الغمام الذي، اذا كانت هذه المسألة حقاً صحيحة، فان تلاوتها تورث الوجه الشحوب. (يمسك بيد الأميرة). أيتها المرآة المتلالئة أحببتك في الماضي وسأحبك الى الأبد، لو لم يطفح الشر من هذا الصندوق الصغير الغامض. لكن يجب علي أن أقول لك... كلاّ، ان فكري يأبى الخضوع لمشيئة هذا الانسان. لأنه ليس كاملاً، ولا يجد نفسه أمام مسكنه الحافل بالرذائل. مع ذلك انت آلة موسيقية رخيمة. احساساتك تقوم فيها مقام الأوتار التي تجتذب نبراتها الشجية أسماع أهل السماء وكل الآلهة. وأنا أتوق الى تشنيف آذاني بأنغامها، لكنها قبل حلول الأوان لا يسعها إلا أن تُرقص زبانية الجحيم بألحانها الجنونية التي يطغى عليها النشاز. في الحقيقة أنا لا يهمّني أمرك في الوقت الحاضر.

انطيوخوس : أيها الأمير بيريكليس، لا تتورّط في هذه القضية الشائكة التي ربما أودت بحياتك. فبموجب قوانيننا، هي أخطر من كل ما عداها. وأنت تضع ذاتك أمام أحد أمرين لا ثالث لهما : إمّا أن تحلّ اللغز فوراً وتنال مبتغاك، وإمّا أن تخضع للحكم المبرم بهلاكك في الحال.

بيريكليس : أيها الملك المعظّم، قليلون هم الذين يحبّون سماع الكلام عن الأخطاء التي يُزمعون أن يرتكبوها. وحديثنا حول هذا الموضوع يُعتبر أهانة لا تغتفر. فمن لديه سجلّ بأعمال الملوك يجمل به، لأجل سلامته، أن يتركه مغلقاً بدون أن يفتحه. لأن قبائحهم المفضوحة هي كالرياح العاصفة تهبّ بهياج عنيف وتثير الغبار وتذره في العيون. وما أغلى الثمن الذي يدفعه من يتعرّضون لجنونها. وحين تهدأ الزوابع تتفتّح العيون المجرّحة وتشعر بما أحدثته الأهواء من الأذى والتلف. وهكذا حتى الخلد الأعمى يرفع الى السماء أكوام التراب التي يختبئ تحتها بغية تبيّن مقدار ظلم الانسان وجوره. ولا يلبث هذا الحيوان الضعيف المسكين أن يموت من جراء تطاوله. الملوك هم في الواقع آلهة الأرض : ففي ميدان الشر، تتحكم ارادتهم برقاب البشر كأنها شريعة مفروضة. واذا حاد الاله المشتري عن الخير، من يجرؤ أن يقول له أنه انحرف ومال الى الفساد. يكفيك اذاً أن تدري بذلك. وحين يوشك الشر أن يتغلّب، لا بد من المبادرة الى خنقه قبل أن يستفحل. ولا ننسَ أن الجميع يحبّون أمهم التي ولدتهم وأرضعتهم. وهكذا، أرجو أن يدافع لساني عن رأسي حالما يتعرّض للخطر الداهم.

انطيوخيوس (على حدة) : أيتها السماء، ساعديني على الظفر برأسه

وقطعه بدون امهال. لأنه اهتدى الى الحلّ المرغوب... عليّ اذاً ان ألجأ الى الحيلة. (بصوت مرتفع) : في هذا الصدد، يتسنى لنا بموجب جوابك المغلوط أن ننفذ فيك حكم الإعدام. غير أن الأمل المستمدّ من ذهنية منفتحة فطنة كذكائك يحملنا على التصرف بأسلوب آخر. لذا نمنحك فرصة أربعين يوماً لكي تميط اللثام عن سر اللغز. وهذا الحلم من قبلنا يبرهن على مدى الرغبة التي تحدو بنا الى إسعافك بمقدار فرحنا بنجاحك الذي يؤهلك لأن تصبح صهرنا العزيز بمثابة ابننا. والى ذلك الحين سنعاملك بما يليق بكرامتنا ومقامك.

(يخرج أنطيوخوس وابنته والحاشية)

بيريكليس : كيف تحاول الشهامة أن تستر الجريمة؟ هذا لعمري عين النفاق الذي لا يمتّ بأية صلة الى الفضيلة التي ينتحلها. فلو كانت تفسيراتي حقاً مخطئة لما تظاهرت بالحلم لتستر عملاً دنيئاً سفّاحاً كاغتصابك ابنتك. أجل، لقد اكتشفت أنك في آن واحد أب وابن بما بينك وبين ابنتك من روابط وعلاقات غير طبيعية هي من حق الزوج لا الاب، وهي تجرم بحق أمها لأنها تلطّخ هكذا فراش والدتها. وكلاهما كالحيّات التي تتغذّى بأحلى الأزهار، لا تنتج سوى السم الزعاف. الوداع، يا انطيوخوس. فالحكمة أثبتت لي أن الأشخاص الذين

لا يخجلون من خساسة ما يرتكبون من الموبقات تحت جنح الظلام لا يحجمون عن تكرار قباحاتهم في وضح النهار. وكما يتصاعد الدخان من النار، هكذا تنجم الجريمة عن التهتك، والاستسلام الى الملذات لا سيما غير الشرعية يدفع الى القتل عمداً لإخفاء معالم الزنى، باللجوء الى المكيدة والتسميم، وهما ذراعا الجريمة والترس الذي يحتمي به مرتكبها الجبان من عواقب الفضيحة والمذلّة. لذلك، خشية أن تهلكني لضمان سلامتك، سأعمد الى الابتعاد عن الخطر الذي يهدد حياتي.

(يخرج).

(يدحل انطيوحوس ثانية).

انطيوخوس : لقد وجد الحلّ المطلوب. لذلك صمّمت على قطع رأسه أسوةً بغيره. اذ لا بدّ من القضاء عليه بأسرع ما يمكن قبل أن يفضح نذالتي ويعلن للملأ أن انطيوخوس يرتكب مثل هذه الفحشاء. اذاً، يتحتّم على هذا الأمير أن يموت حالاً. ولا سبيل الى صيانة شرفي إلا بقتله. إليّ، يا ثاليار.

(يدخل ثاليار).

ثاليار : هل ناديتني، يا صاحب السموّ؟

انطيوخوس : يا ثاليار، أنت من أخلص أخصّائي. وضميري يأبى إلا

أن أُودع أسراري الحميمة في أمانة كتمانك. ومحافظتك على مودّتي وتقديري هي السبيل الوحيد الى ترقيتك وتعزيز مقامك. خذ، يا ثاليار، هذا السمّ وهذه الكمية من الذهب. أنا أكره أمير صور، وعليك أن تحرسه الى الأبد وتزيله من عالم الوجود. ولا فائدة من السؤال عن الأسباب التي تدفعني إلى هذا القرار النهائي. فهذه أوامري المشدّدة، وعليك أن تعدني بتنفيذها.

ثاليار : أعدك وعداً قاطعاً، يا مولاي.

انطيوخوس : يكفيني وعدك هذا. وبتقيّدك بالغيرة على مصالحي تضمن مستقبل حياتك.

(يدخل رسول).

الرسول : هرب الأمير، يا مولاي.

(يخرج).

انطيوخوس (لثاليار) : أصبحت حياتك مرتبطة بهذا الواقع الجديد. أسرع الى اللحاق به. وكالسهم الذي يطلقه نبّال ماهر، سدّد اليه ضربتك القاضية، ولا تعد اليّ إلاّ لتبشّرني بأن الأمير بيريكليس قد أصبح في دنيا الأموات.

ثاليار : كن مطمئن البال، يا مولاي. فحالما يمسي تحت رحمتي سأصوّب اليه ضربتي وأقتله في الحال. وبناءً على ذلك، أبلغك يا صاحب السموّ أصدق تحياتي.

(يخرج).

انطيوخوس : الوداع، يا ثاليار. لن يطمئن قلبي على سلامة رأسي، إلّا بعد أن يقضي بيريكليس نحبه.

(يخرج).

المشهد الثاني

في قصر أمير صور

(يدخل بيريكليس وهيليكانوس وسادة آخرون).

بيريكليس : أطلب أن لا يزعجني الآن أحد. لماذا تجتاحني كل هذه الهواجس؟ ولماذا تلازمني هذه الكآبة المقيتة ولا تدع لي مجالاً للترويح عن نفسي كأني سجين قبر مظلم، وكأن بلايا العالم كلها جاثمة على صدري لا تتركني أرتاح ولو لحظة واحدة. يخيّل اليّ أن الملذات تراود مشاعري فتنحّيها عن أنظاري. أجل أنا أعلم ان الأخطار التي أخشاها، تحوم في سماء انطاكية، وأشعر بأن يد انطيوخوس قصيرة جداً مهما سعت وحاولت، لا يسعها أن تطالني هنا. مع ذلك يعجز فنّ الترفيه عن تسليتي، رغم بعدي عن خصمي الذي يقلق أفكاري. هذا صحيح، ولا سبيل الى نكران الواقع. لأن الأضطراب

المتزايد المستمر يثير الهموم التي تنخر قلبي كالسوس. فما كان في البدء خوفاً من المحنة أصبح مع الوقت شغل بالٍ مزمن. وأخاف أن تنقلب الاستكانة الى كارثة جسيمة. لأن انطيوخوس الكبير الذي لا أضاهيه قوةً لن أتمكن من مقارعته والتغلّب عليه، وهو على ما عهدته فيه من شدّة البأس والقدرة على نيل كل مآربه، يظن أني أريد التحدي حين أودّ ملازمة التحفظ. ولا أرى فائدة من ابلاغه اني أتمنى له المزيد من الشرف الرفيع لا سيما عندما يشكّ في نواياي ويدرك اني بالعكس أبغي تحقيره واذلاله. واذ أخشى أن يظن بأني أميل هكذا الى مناوأته، يخيّل اليّ أنه سيجمع جيوش المنطقة لمهاجمتي كأني من ألدّ أعدائه. عندئذ سيتغلّب على رجالي ساعة مواجهتهم ويقتصّ من شعبي لقاء اهانة وهمية لم تخطر لهم ببال. هذا في الحقيقة ما يرهق تفكيري من ناحيتهم، ولا يخيفني أبداً مصيري أنا شخصياً. لأني أشبه شجرة باسقة تفيّؤهم أغصانها وتحمي الجذور التي تغذّيهم. وهذا ما جعلني نحيل الجسم حزين النفس، أتألم من جرّاء كل ما يعذب ضمير أنطيوخوس.

السيد الأول : أتمنى لك كل السعادة والهناء.

السيد الثاني : والى حين عودتك إلينا سالماً، جلّ أمنيّتي أن يفعم قلبك أمل السلام والسرور.

هيليكانوس : ليغمر السلام روحكم، أيها السادة الكرام، ولتمهد الحبرة سبل أموركم. ان الذين يتزلفون عادة الى الملك يبالغون في تمليقه، لأنهم بذلك يزكون نار الشر حوله. ولأن الأطناب في المديح هو كالشرارة التي تشعل الحريق وتؤجّج النار في الهشيم. بينما قول الحقيقة والتنبيه الى الأخطاء والنقائص أحياناً بالعكس يخمد الغضب ويحمل على الاعتدال، لا سيما لدى الملوك، لأنهم في الواقع ليسوا سوى بشر معرضين للزلل كغيرهم. فعندما يشيد المنافق بالسلم يموّه الحقيقة ويشعل نار الحرب ضمن نطاق مجتمعه. (يركع). سامحني، أيها الأمير، أو عاقبني اذا شئت، لأني لا أستطيع أن أتدنّى أكثر من الركوع على ركبتيّ.

بيريكليس (لباقي السادة) : دعوني وحدي انفرد به. واستعلموا عن المراكب المقلعة الى مرفإنا، وعودوا لتفيدوني (يخرج السادة). يا هيليكانوس، لقد أثرت شجوني. فماذا ترى على محياي؟

هيليكانوس : جبهتك مكفهرّة، يا مولاي المحبوب.

بيريكليس : عندما ترتسم امارات الغيظ في عيني الأمير كيف يجسر لسانك على الافصاح أمامي عن غضبك؟

هيليكانوس : يجدر التساؤل كيف تجرؤ النباتات على التطلّع الى السماء التي تنمّيها.

بيريكليس : ألا أعلم حق العلم بأني قادر على حرمانك نعمة الحياة.

هيليكانوس (راكعاً) : أنا بنفسي أرهفت حدّ الفأس، فما عليك إلا أن تضرب بها عنقي.

بيريكليس : انهض، أرجوك أن تنهض وتجلس بقربي. أنت لست متملّقاً، وأنا أشكرك على مزيّتك النادرة هذه بنوع خاص، وأطلب من السماء أن تحفظ الملوك من المداهنين الذين يموّهون لهم عيوبهم. أيها المرشد الصادق الأمين، أيها المخلص لأميرك. يا من بحكمتك جعلتني أنا سيّدك، اعتبر نفسي خادمك، ماذا تودّ أن أفعل؟

هيليكانوس : أن تتحمّل بصبر ما تفرضه على نفسك من العذاب.

بيريكليس : أنت تتكلم كالطبيب، يا هيليكانوس، حين تصف لي علاجاً ترتجف أنتَ اذا تناولته بدورك. إصغِ إليّ : لقد ذهبت الى انطاكية حيث، كما تعلم، واجهت الموت حين حاولت أن أقترن بجمال رائع بغية إنجاب نسل لي يساندني في امارتي ويدخل البهجة على قلوب رعيتي. لقد بدا لعينيّ محياها كزهرة رائعة. والباقي، دعني أهمس به في اذنك، كان أسود قاتماً مقيتاً كمغتصب ابنته. واذا إكتشفت أنا هذا الجرم السافل تظاهر الوالد بالتودّد اليّ بدلاً من أن يضربني. ففكّرت بما حدث في الماضي وما قد يليه في المستقبل. وأنا على يقين من ثورة طغيانه فتوقعت أن تزداد وحشيته عنفاً بسرعة، لأنه بات يخشى أن أبوح لغيره من الأمراء منافسيه، بما توصلت الى معرفته من سرّ علاقاته الغرامية الفاسقة بابنته. وهذا ما

دعاه الى التصرّف على هذا النحو بفرض حلّ لغز أفضى العجز عن فك رموزه الى سفك دماء العديد من الأمراء، وتعليق رؤوسهم المقطوعة فوق مدخل قصره، بقصد إسكاتهم عن البوح بسرّه المشين. ولكي يطمئن الى النتيجة المتوخاة ضاعف عدد رجال جيشه ونشرهم في جميع الأنحاء بحجة منع التآمر عليه. وبما اني لم أتح له مجالاً لنيل مأربه بقطع رأسي أنا أيضاً، علينا الآن أن نتحمّل جميعاً ما يعدّه من ضربات سيسدّدها الينا لإرغامنا على ستر دناءته، فأنا ألتمس من كافة أتباعي، ومنك أنت أيضاً مناصرتي، وإن لُمتني على ذلك منذ لحظة.

هيليكانوس : أنا متأسف جداً، يا مولاي.

بيريكليس : لقد سلب هذا الوضع النوم من أجفاني، وأصعد الدم الى وجنتيّ، وأثار في خاطري الف همّ وألف خوف. فحاولت أن أتقي شر العاصفة قبل أن تهبّ علي وتهلكني. واذ لم أجد سوى فرص ضئيلة للخلاص من هذه الورطة، حاولت أن أفرض على نفسي ما يجب أن يتحلّى به كل أمير من فضيلة.

هيليكانوس : بما أنك، يا مولاي، أذنت لي بحريّة الكلام سأصارحك بأفكاري جليّة. أنت تخشى غدر أنطيوخوس الغاشم الذي قد يشنّ عليك الحرب علناً أو من خلال مكيدة وخيانة مستترة ربما تقضي على حياتك. فلماذا لا تلجأ الى

السفر بعض الوقت، يا مولاي، وتغيب عن هذه الديار الى أن تهدأ ثائرة غضبه أو أن يغيّبه الموت. وتستطيع أن تسلّم الحكم بالوكالة الى من تأتمنه على مصالحك. واذا شئت أن أكون أنا بديلك، لن يضيرك أن تنعم أنت بالراحة والاطمئنان برهة حتى تعود الأيام الى مجراها الطبيعي. ويسعك أن تكون على ثقة تامة بأني سأصون الأمانة بكل اخلاص، لأردّها اليك عند الطلب.

بيريكليس : أنا لا أشكّ بوفائك. لكنني أخشى أن تُهاجم مملكتي أثناء غيابي.

هيليكانوس : لن أبخل عندئذ بدمي، ولن أتردّد في جعله يُسفك في سبيلك، يا ولي نعمتي منذ أن أبصرت عيناي نور الحياة.

بيريكليس : سأبتعد اذاً عن صور وأذهب الى طرسوس، حيث ستوافيني رسائلك المطمئنة. وبموجب توجيهاتك وارشاداتك سأتصرّف لبلوغ المرام. ستكون اذاً وكيلي في ادارة شؤون رعيتي أثناء غيابي، لأني أتوسّم فيك كل الحكمة والعدالة والمقدرة على تأمين ادارة شؤوني. اني أثق بصدق كلامك ولا أسألك أن تقسم لي أي ايمان. لأن من لا يفي بوعده لن يتأخّر عن نكص حلفانه. وهكذا يحيا كل منا في دنياه آمناً كريماً، لا يخاف على كيانه ولا يناقض حقيقة واقعه. فتظلّ أنت تابعاً مثالياً، وأظلّ أنا أميراً أصيلاً.

(يخرجان).

المشهد الثالث

عند مدخل قصر صور

(يدخل ثاليار)

ثاليار : ها هيذا صور. وها هو بلاطها. وهنا عليّ أن أقتل الملك بيريكليس، وإلّا عرّضني تقصيري للموت شنقاً. هذا أمر خطير جداً. الآن فهمت لماذا التمس ذاك الشخص الحكيم البصير حلم الملك وألحّ على عدم معرفة أي سرّ من أسراره. واليوم أدركت انه على حق. اذ مهما طلب الملك من أيٍ كان أن يصبح وغداً لئيماً لا يسعه أن يغفل أوامره لا سيما اذا كان مقيّداً تجاهه بقَسم. ها هم سادة صور قادمون.

(يدخل هيليكانوس وإسكانيس وسادة آخرون).

هيليكانوس : لم تناقشوا بعد، يا سادة صور، قضيّة سفر الملك. فاللجنة المعيّنة حسب أوامره الممهورة بخاتمه، وقد أمست وديعة في حوزتي، لديها الشرح الوافي عن غيابه في رحلة قصيرة.

ثاليار (على حدة) : ماذا تقول؟ سافر الملك؟

هيليكانوس : اذا وددت أن تعرف لماذا رحل الملك بدون أن يعلمكم بسفره، لو جاز هذا التعبير، فأنا أقدّم لكم بعض

الايضاحات في هذا الموضوع. عندما كان في انطاكية..

ثاليار (على حدة) : ماذا يقول عن انطاكية؟

هيليكانوس : لا أدري لأي سبب خطرت ببال الملك أنطيوحوس فكرة مزعجة، كما ظنّ بيريكليس. فخشي هذا الأخير، عن صواب أو عن خطأ، أن يكون قد ارتكب غلطة، كما يدل على ذلك أسفه العميق، فعمد الى معاقبة ذاته. وزجّ بنفسه في مخاطر رحلة بحرية عرّضته في كل لحظة الى الموت رغم تمسّكه بأهداب الحياة.

ثاليار (على حدة) : هيا، الى العمل. أنا لا أرى اني أستحق الشنق على ذنب لم أقترفه. ولكن بما أن الملك سافر، لا أظنه نجا على اليابسة لكي يغرق في لجج البحار. يتحتّم عليّ الآن أن أعرّف بنفسي : السلام على سادة مدينة صور العظيمة.

هيليكانوس : برحب بالسيد ثاليار، موفد انطيوخوس.

ثاليار : أجل، أنا قادم من قبله ومعي رسالة للأمير بيربكليس. ولكن بما أني علمت حين غادرت السفينة بأن ملككم سافر لا أدري الى أين، فإني سأعود برسالتي الى من بعث بها اليه.

هيليكانوس : لا داعي يدفعنا الى معرفة مضمونها لأنها موجّهة الى ملكنا وليست لنا. مع ذلك قبل رحيلك، إسمح لنا بصفتنا اصدقاء انطيوخوس أن نحتفي بك أثناء اقامتك في صور.

المشهد الرابع

في منزل حاكم طرسوس

(يدخل كليون وديونيسا والحاشية).

كليون : تعالي، يا ديونيسا، نجلس هنا ونأخذ قسطاً من الراحة. ونرى هل اذا رِوينا آلام سوانا نتوصّل الى نسيان أوجاعنا؟

ديونيسا : هذا يؤجّج نيران الأسى ونحن نرجو إطفاءها. كمن يهدم تلة لأنها مرتفعة فيتعرّض الى ازالة جبل بإنشاء غيره أعلى منه. فيا مولاي الحزين، هذا هو حال آلامنا التي حتى الآن لم تظهر للعيان إلا من خلال معاناتنا ودموعنا. وإذا حاولنا التخلّص منها بالحسنى نمت وكبرت وأضحت كالجبال الشاهقة.

كليون : يا ديونيسا، من منّا اذا جاع لا يطلب طعاماً لسدّ رمقه؟ من منا يتجاهل حاجته الى الأكل كي يموت جوعاً؟ فلندع أنّاتنا تعلن للملأ عن أسانا، ولتدمع مآقينا حتى تستطيع روايانا أن تتنفّس الصعداء. ولترتفع أصواتنا أعلى مما كانت سابقاً لئلا ترقد السماء المطلّة على الخلائق وتفيض دموعها وتتلوّى من الألم، لربما استفاقت رحمتها من غفوتها ومدت اليهم يد العون وفرّجت كربتهم. سأعرض لكم ما أصابنا من نكبات منذ سنين عديدة. ولقد لاحظت أنت أن صوتي اختنق في حنجرتي، وما

أمكنني أن أُوصِل الكلام اليك علّك تساندني بزرف دموعك السخينة على لوعتي.

ديونيسا : سأحاول أن أفعل ذلك، يا مولاي.

كليون : لقد بلغ الخصب ذروته أثناء هذا الصيف في طرسوس، حين كانت شوارعها تغصّ بـالارزاق والسلع، وأبراجها مشرئبة الرؤوس تكاد تلامس السحاب، والناس ينظرون اليها بدهشة واعجاب، بينما معظم الرجال والنساء يتهادون في مشيتهم متباهين بألبستهم البرّاقة، وكأنهم ينظرون بعضهم الى بعض من خلال انعكاس المرآة. وكانت موائدهم الحافلة بما لذّ وطاب تسحر النظر بعيداً عن مظاهر الفقر المنبوذ. فيما الإباء يتشامخ الى حد جعل كل حديث عن الاغاثة أمراً مستقبحاً غير مرغوب.

ديونيسا : نعم هذا هو عين الصواب.

كليون : لكن، أرجوكِ أن تنظري الى ما يسع السماء أن تتحفنا به. فبتغييرات بسيطة مفاجئة، امتلأت هذه البطون الخاوية التي عجز خصب الأرض والبحر والهواء عن اشباع نهمها، رغم ما جادت به عليها من الهبات التي أفسدها التقصير فما استفادت منها، نظير هذه البيوت التي انتابها الخراب والدمار حين افتقرت الى العناية والصيانة. وقد احتاجت هذه القصور منذ صيفين الى تنسيق يرضي الذوق السليم، وأضحت اليوم تقتضي بإلحاح كل اهتمام

ولهفة ورعاية. وهؤلاء الأمهات اللواتي بذلن كل جهد في سبيل تسمين أولادهن ولا يجدن ألزم من هذا الواجب، هنّ الآن على أهبة افتراس اطفالهن الأعزاء على قلوبهن. ومهما كانت أنياب الجوع حادة، فالرجل والمرأة لجآ الى الاقتراع بينهما لإطالة عمر أحدهما وتركه على قيد الحياة. هنا سيد وهناك سيدة كلاهما ينتحبان، وعدد كبير من الفريقين يكاد يهلك، لكن الذين يشاهدون غيرهم يموت يوشكون أن يفقدوا قواهم وهم يحاولون أن يدفنوا جثث الراحلين عن هذه الدنيا. أوليس هذا هو الواقع الأليم؟

ديونيسا : إن خدودنا وعيوننا الغائرة خير شاهد على صحّة ما تتناوله الأحاديث.

كليون : ألتمس من أهالي المدن المزدهرة أن يستمعوا الى نحيبنا وعويلنا، وهم منهمكون في الشرب حتى السكرْ بالخمرة الفائضة المهدورة، وأتمنى أن يحلّ بؤس طرسوس بهم أجمعين.

(يدخل أحد السادة)

السيد : أين مولاي الحاكم؟

كليون : ها هوذا. وقد أطلعنا على ما تأتينا به من المصائب في مثل هذه العجلة. لأن النجدة بعيدة جداً عنا لكي نأمل أن تصل إلينا وننتظرها في الوقت المناسب.

السيد : لقد لاحظنا على الشاطئ المجاور اسطولاً صغيراً يقلع باتجاه مدينتنا.

كليون : كنت أترقب ذلك. لأن المحنة لا تأتي أبداً وحدها بل تجرّ وراءها غيرها من المشاكل المستعصية. هذا ما أصابنا. فان شعباً يجاورنا استفاد من شدائدنا ليملأ سفنه الواسعة بقوى متفوّقة تنوي مناوأة قوم منهار والانتصار على شخص مثلي لا تضفي عليه الغلبة أي مجد.

السيد : لا داعي للخوف من هذا القبيل، اذ انهم بالأعلام البيضاء التي نشروها يُحلّون السلام في ديارنا وبين أتباعنا لا في جهة أعدائنا.

كليون : أراك تتكلم كمن يجهل أنّ تحت مظاهر الولاء، تختبئ أحقر المشاريع وأكثرها ضرراً. ولكننا، مهما كانت نواياهم سيئة، لا نخاف أذاهم. فالحفرة هي أعمق من الهوّة التي تقوم بيننا في منتصف الطريق. إذهب وبّلغ قائدهم أننا ننتظرهم هنا، لكي نعرف لماذا ومن أين يأتون الينا، وماذا يبغون.

السيد ها أنا ذاهب.

(يحرج).

كليون : نرحّب بالسلام اذا كان ذلك هدفهم. أمّا اذا كان الحرب مبتغاهم، فاننا غير قادرين على منازلتهم والصمود أمامهم.

(يدخل بيريكليس وحاشيته).

بيريكليس : سيدي الحاكم، لقد عرفنا ما هي وظيفتك، ونحن لا نريد أن تكون سفننا وفرقنا كأنوار ساطعة تبهر العيون. وقد وقفنا على ما نزل بكم من بلايا في صور ذاتها، وأبصرنا الشقاء والتعاسة في شوارعكم. فجئنا لا لنزيد آلامكم ودموعكم، بل لنخفّف وطأة عذابكم. ربما ظننتم أن سفننا هي نظير حصان طروادة، تمهد للحرب وللمعركة الطاحنة التي تهدّدكم بالويل والدمار. بينما هي محمّلة قمحاً لتزويدكم بالخبز الضروري لحياتكم، ولتردّ الأمل بالشبع والبحبوحة لمن عضّهم الجوع بأنيابه الحادة.

الجميع : لتحرسك آلهة الاغريق، ولتستجب صلواتنا لأجل خلاصكم.

بيريكليس : إنهض، أرجوك أن تنهض. فنحن لا نطالبكم بتعويضات، بل نلتمس منكم العطف والمودّة، ونأمل أن تؤمنوا ملجأً حصيناً لسفننا ورجالنا.

كليون : اذا كانت هذه نواياكم، لا أحد هنا يعارضكم ويقابل بالعقوق حسن معاملتكم. لتحلّ اللعنة علينا وعلى نسائنا وأولادنا، اذا قصّرنا في رعايتكم وإحاطتكم بالاهتمام وحسن الضيافة التي تستحقّونها كرجال مسالمين بعيدين عن العنف والأذى حتى الآن، ونأمل أن يكون ذلك

على الدوام. نرحّب بكم كأصدقاء حلّوا بيننا على الرحب والسعة، فكونوا في مدينتنا أحبّ الضيوف.

بيريكليس : نشكركم على هذا الترحيب الصادق ونقبل حسن ضيافتكم بعض الوقت، ريثما تزول محنتنا وييسم لنا الحظ السعيد ثانية.

(يحرجون).

الفصل الثاني

مقدمة

(يدخل غوير).

غوير : لقد عرفتم الآن ملكاً قديراً
اغتصب ابنته الجميلة قسراً وتغريراً
وخبرتم أيضاً أميراً أفضل منه، سيداً جديراً،
استحقت أقواله وأفعاله كل تبجيل،
تصرّف كما يليق بالرجل الأصيل
فنجا سالماً من التضليل والتهويل.
صبراً وأريكم المتوّجين دجلاً
يربحون قشّة ويخسرون جبلاً.
أما الأمير الفضيل
صاحب المجد الأثيل
فلا يزال في طرسوس
حيث يحلم بالعروس
وذكرى أعماله الجليلة
تكسبه تاج الفضيلة

بينما الأنباء الأخيرة
تقارن بين المآثر والجريرة
وردودنا عليه مفحمة كثيرة.

(يتبادل الحاضرون بعض الإيماءات).

يدخل بيريكليس من باب وهو يكلّم كليون، وترافق كلاً منهما حاشيته. ويدخل من باب آخر وجيه يحمل رسالة موجّهة الى بيريكليس. يمدّ هذا الأخير رسالته الى كليون. ثم يناول الرسول مكافأة، كأنه فارس مغوار
يخرج بيريكليس وكليون وآخرون من جهات مختلفة.

يواصل غوير كلامه قائلاً :

أمّا هيليكانوس الفضيل فقد بقي في صور
لا ليأكل العسل الشهيّ كأنه زنبور
بعد أن تعبت في صنعه النحلة الصبور.
فدأب على منع الشر وتشجيع عمل الخير
نزولاً عند رغبات سيده الأمير
وقد أعلمه بكل ما حدث في صور
بينما صاح ثاليار بالويل والثبور،
حسب مقصده القاتل المستور.
لذا نصح الأمير بأن لا يطيل المكوث في طرسوس،
وبناءً على هذا التنبيه أبحر هيليكانوس
وهو لا يرتاح الى العوم كأنه في حرب ضروس.
وبسبب الرياح التي راحت تعصف
والرعود المدوية التي تهزم وتقصف

جميعها تلاعبت بالسفينة وشراعها
بدلاً من حمايتها من عبث هبوبها.
أما الأمير الذي كاد أن يفقد كل أمل
حين طغت الأمواج المتلاطمة بلا ملل
من شاطئ إلى آخر، وأوشكت أن تبتلعه
مع مجموع أرزاقه، فلم يسلم إلا شخصه.
وحين خارت قوى الطغيان
قذفته الى شاطئ الأمان
وسرعان ما أقبل بحزم واطمئنان
ليعلم بما آل اليه مليكه بين المِلل.
فلا ترهقوني بالاستفسار عمّا حصل
هذا غوير الراوي يشرح لكم مصيره المفصّل.

(يخرج).

المشهد الأول

على رمال شاطئ بنتابوليس

(يدخل بيريكليس وثيابه مبلّلة).

بيريكليس : هدّئ روعك أيها الكوكب الثائر. فالرياح والأمطار والرعود كلها تناوئ رجل الساعة الذي كثيراً ما أخافته

هذه العناصر وأخضعته لمشيئتها. وا أسفاه. لقد ألقاني البحر على صخور الساحل وقذفتني من شاطئ الى آخر، ولم يترك لي مجال التفكير في الموت المحتّم. يكفيك أيتها العناصر الطبيعية أن تكون قواكِ قد جرّدت أميراً من جميع أهله وممتلكاته. وإذ نبذته طياتك المائعة الرجراحة، لم يعد يرجو سوى أن يموت بسلام.

(يدخل ثلاثة صيادي سمك).

الصياد الأول : ما بك، يا هذا؟

الصياد الثاني : تعال، وأعِد الشبكة الى هنا.

الصياد الأول : هيا عجّل، أيهاالسروال المرقّع.

الصياد الثالث : ماذا قلت، يا معلّم؟

الصياد الأول : عجّل، عجّل، يجب أن ننتهي من عملنا هذا الصباح، وإلّا عالجْتكَ بهذا القضيب على سبيل التحدير.

الصياد الثالث : أنا أفكّر بالأشخاص الذين فُقدوا تحت أنظارنا منذ هنيهة.

الصياد الأول : أسفاً على شبابهم. لقد مزقوا قلبي، وأنا أسمع استغاثتهم التي تفتّت الأكباد، وهم يتسنجدون بنا لنبادر الى انقاذهم، ونحن نكاد نقوى على تخليص ذواتنا.

الصياد الثالث : هذا ما قلته قبل برهة، عندما شاهدت بعض الأسماك تحوم في الماء بالقرب منا، وكأن الحيتان تطاردها،

ألا قتل الطاعون هذه الحيتان الشرسة. اني أتساءل، يا معلّم، كيف يتسنى للأسماك أن تعيش في البحر بأمان.

الصياد الأول : تماماً كما يحيا الناس في البرّ حيث الكبار يسطون على الصغار. لا سبيل الى تشبيه الأغنياء البخلاء إلا بالحيتان الرهيبة التي تطارد وتبتلع الأسماك الضعيفة. وكم شاهدت من الحيتان البشرية فاغرة أشداقها لتبتلع حتى رعية المعبد ومبناه الضخم وقبّته وكل محيطه.

بيريكليس (على حدة) : منطق جميل جداً.

الصياد الثالث : لكن، يا معلم، لو كنت أنا خادم المعبد، لكنت لجأت عندئذٍ الى أحد الأبراج واختبأت داخله.

الصياد الثاني : لماذا، أيها الشجاع؟

الصياد الثالث : لأن أحد الحيتان كان ابتلعني أنا أيضاً. وما استطعت أن أخرج من بطنه سالماً إلا عندما يفرغ كل ما في جوفه. ليت الملك سيمونيد أخذ برأيي.

بيريكليس (على حدة) : سيمونيد؟

الصياد الثالث : ولكننا خلّصنا النحل من الزنابير التي تزدرد عسلها.

بيريكليس (على حدة) : لله درّ هؤلاء الصيادين الذين يتخذون مثال سمك البحر لوصف قباحات البشر. لكن، كم تميّز بساطة حكمتهم بين شر الانسان وخيره؟

(بصوت مرتفع):

السلام عليكم، أيها الصيادون الشرفاء.

الصياد الثاني : تقول الشرفاء، أيها الفتى. هلاّ أوضحت لي من تعني؟

بيريكليس : من لفظهم موج البحر على شاطئكم.

الصياد الثاني : يا للبحر من سكّير لئيم. لفظك هكذا على دربنا.

بيريكليس : أجل، أنا رجل تقاذفتني الأمواج العاتية كالكرة. ثم لفظتني بالقرب منكم بعد أن أشفقت على شبابي. وأنا بدوري، وإن لم أتعوّد الاستجداء، ألتمس منكم أن تغيثوني.

الصياد الأول : أحقاً، يا صاح، لا تعرف الاستعطاء؟ إعلم إذاً أن في بلاد الاغريق بلادنا، يربح العديدون من الاستجداء أكثر مما يكسبه العمّال بعرق جباههم.

الصياد الثاني : أولا تعرف كيف تلتقط السمك؟

بيريكليس : لم أجرّب الصيد أبداً قبل الان!

الصياد الثاني : اذاً، كن على يقين بأنك ستموت جوعاً. لأنك لست قادراً على تحقيق أي ربح في أيامنا هذه أو اقتناص أي مغنم.

بيريكليس : لقد نسيت ما كنت عليه آنذاك، وما كان في مقدوري أن أفعله. لكني لم أنسَ من أنا، لأن الحاجة علّمتني اني انسان عضه البرد بنابه، وكادت شراييني تتجمد في جسمي المجلّد، ولم يبق في بدني من الحرارة سوى ما يمكّن لساني من طلب نجدتكم التي ان حجبتموها عني تركتموني أموت صقيعاً. عندئذ تتكرّمون بدفني في احدى الحفر المجاورة.

الصياد الأول : أنت لا تتكلّم إلا عن الموت. وَقتْنا منه الآلهة، مع أنك على ما أرى شاب وسيم.. هيّا أقلع عن هذه

الأفكار السوداء، وتعال، معنا، فإن لدينا بعض اللحم المبخّأ ليوم العيد وبعض السمك لأوقات الصيام، فضلاً عن الخبز وبعض الفاكهة. وستحلّ أهلاً في دارنا.

بيريكليس : أشكرك جزيل الشكر، يا سيدي.

الصياد الثاني : الم تصرّح، يا صاح، بأنك لا تعرف الاستجداء؟

بيريكليس : أنا لا أعرف الآن سوى الإلتماس.

الصياد الثاني : سوى الالتماس؟ هيّا أنا أيضاً سألتمس نظيرك. وبهذه الوسيلة أنجو من ضرب السياط.

بيريكليس : ماذا تقول؟ هل يتعرّض المتسوّلون عندكم للضرب؟

الصياد الثاني : لا، لا. ليس كلهم، يا صاح. ولو كان الأمر كذلك لما تمنّيت إلا أن أكون من ضاربي السياط. والآن، يا سيدي، عليّ أن أسحب الشبكة.

(يخرج اثنان من الصيادين).

بيريكليس : كم تلائم هذه البهجة حياة الكدّ التي ألفوها.

الصياد الأول : أتعْلم، يا سيدي، أين أنت؟

بيريكليس : لا أعرف بالضبط.

الصياد الأول : اذاً سأدلّك. هذه المنطقة تدعى بنْتابوليس، وملكنا اسمه سيمونيد الصالح.

بيريكليس : أتدْعُونه سيمونيد الصالح؟

الصياد الأول : أجل، يا سيدي. وهو يستحقّ هذه التسمية بسبب حكمه المسالم وعدله الذي شمل الجميع.

بيريكليس : هو حقاً ملك سعيد، لأنه اكتسب هذا اللقب المشرّف.
أين يقع بلاطه يا ترى؟ وما هي المسافة التي تفصلنا عنه؟

الصياد الأول : هو على بعدٍ يقارب نصف نهارٍ سيراً على الأقدام.
واعلمْ بأن له ابنة هي آية في الجمال. غداً تقع ذكرى مولدها. وبهذه المناسبة سيأتي الى هناك أمراء عديدون من مختلف المناطق ليتباروا في ألعاب الفروسية اكراماً لها.

بيريكليس : كم أتمنى أن يسعفني الحظ لأكون أحد المتبارين.

الصياد الأول : ستجري الأمور كما هو مقدّر لها. وكل انسان يسعه أن يتمنى الحصول على ما يشتهي حتى إن كان ذلك قلب امرأة.

(يعود الصيادان وهما يجرّان شبكة).

الصياد الثاني : ساعدنا، يا معلم، هيّا ساعدنا. ان سمكة كبيرة عالقة في الشبكة، وهي كالانسان لها حق بالخلاص. وقد صعب علينا وحدنا أن ننتشلها من مكانها الضيّق. أخيراً، ها قد توصّلنا الى سحبها ويخيّل اليّ أنها تحوّلت الى درع صدئ.

بيريكليس : بل درع كله، فخر ووفاء. دعني أبصره. شكراً، يا لحسن حظي، فبعد كل الشدائد التي عانيتها تسنى لي الآن أن أبيّض وجهي. هذا الدرع في الواقع يخصّني، وقد انتقل اليّ بالوراثة من أبِي حين أدركتْهُ الوفاة. وهو الذي

أوصاني بإلحاح قائلاً : احتفظ به، يا بيريكليس، لأنه كثيراً ما حال بيني وبين الموت أثناء المعارك. ثم أراني عصبة ذراعٍ، وأضاف : احفظ هذه أيضاً، لأنها حمتني من كل تلك الظروف الصعبة. فقد تساعدك على الخلاص بمعونة الآلهة، وتردّ عنك شر الأذى. ولم يفارقني هذا الدرع أبداً، لذا تعلّقت به. وما باعد بيني وبينه إلا البحر العاتي الذي لا يشفق على أحد، فانتزعه مني أثناء هياجه الجنوني، ولم يردّه لي إلا عندما هدأت ثورته كما تلاحظون، فشكراً لكم. والآن أرى أن الغرق لم يجهز عليّ، بما اني أقف فيما بينكم أخاطبكم، بعد أن عاد اليّ ما تركه لي والدي.

الصياد الأول : ماذا تقصد أن تقول، يا سيدي؟

بيريكليس : أرجوكم أن تمنحوني، يا أصدقائي، هذا الدرع الذي امتَلَكَهُ عاهل في سالف الزمان، وأنا أعرفه من هذه العلامة. فهذا الملك أحبّني كثيراً، وأنا، حبًّا به أود أن أسترجعه. واذا شئتم، رجوتكم أيضاً أن ترافقوني الى بلاط ملككم، حيث بفضل هذا الدرع أظهر كوجيه. واذا حالفني الحظ ثانية سأكافئكم على طيبة قلبكم. وحتى ذلك الحين أظلّ أسير معروفكم على الدوام.

الصياد الأول : هل حقاً تودّ أن تشترك في الألعاب التي تقام اكراماً للأميرة؟

بيريكليس : هكذا يُتاح لي إبراز ما يسعني أن أظهره من مهارة في استخدام السلاح.

الصياد الأول : هيّا، خذ الدرع. نسأل الآلهة أن تمنحك أسعد الحظوظ.

الصياد الثاني : أجل، لكن اسمع، يا صاح، لا تنسَ أننا ساعدناك على استرداد درعك من الأمواج المتلاطمة. وهكذا يحقّ لنا أن نحصل على مكافأة وعلى بعض الفوائد. وكل أملنا، يا سيد، أن تتذكر ما لنا بذمتك.

بيريكليس : صدقوني، يا أصحابي، اني لن أتأخر عن تأدية ما يترتّب عليّ من واجب نحوكم. اليوم بفضلكم طبعاً استرجعت درعي الفولاذي، رغم كل محاولات البحر الهائج أن يحرمني من هذه الجوهرة النادرة التي تحمي صدري وهذه العصبة المحيطة بذراعي. أريد أن أمتطي جواداً يستحق أن يحمل شخصاً جديراً مثلي، جواداً يلفت انتباه الناظرين الى رشاقته وحسن اصالته وينتزع إعجابهم بكل خطوة يخطوها أمامهم. لكن، يا أصحاب، لا يزال ينقصني قماطان لساقيّ.

الصياد الثاني : سنؤمّن لك حاجتك، فاطمئنّ. سأعطيك زناري لكي تصنع منه القماطين. وسأرافقك بنفسي الى بلاط الملك.

بيريكليس : أتمنى أن يقترن الشرف والنجاح بما سأبذله من جهود.

فأنهض اليوم من الكبوة التي سبّبها لي تراكم الشقاء على أهلي مؤخراً.

(يخرجون).

المشهد الثاني

على سطيحة تفضي الى مدخل بنتابوليس، وفي أحد جوانبها منصّة ليقف عليها الملك ومعه الأميرة.

(يدخل سيمونيد وثايسا وبعض السادة والخدم).

سيمونيد : هل كل الفرسان على أتمّ الاستعداد لمباشرة ألعابهم؟

السيد الأول : أجل، يا صاحب الجلالة. وهم ينتظرون وصولكم ليتقدموا نحو جلالتكم.

سيمونيد : اذهب واعلمهم بأننا جاهزون، وبأن ابنتنا التي نحتفل اليوم بذكرى ميلادها هي جالسة هنا الى جانبي بأحلى محاسنها كابنة الطبيعة التي أنجبتها لتلفت اليها أنظار الرجال وتستأثر باعجابهم.

(يخرج السيد).

ثايسا : لو سمحت، يا أبي، لكنت موضوع ثناء أوفر مما أستحقه.

سيمونيد : هذا أنسب لكِ. لأن الأمراء هم نماذج فريدة صنعتها السماء على صورتها البهية. وكما تفقد الجواهر بريقها اذا أُهملت، هكذا يفقد الأمراء هيبتهم اذا خسروا ما يؤهّلهم له من تبجيل. والآن، اليك يعود، يا ابنتي، شرف شرح مهمة كل فارس يتقدّم حسب شعاره.

ثايسا : أنا رهن اشارتك في هذه البادرة، يا أبي ومولاي.

(يدخل فارس ويجتاز خشبة المسرح، بينما يقدّم خادمه شعار سيده للأميرة).

سيمونيد : من هو أول المتقدمين؟

ثايسا : فارس من اسبارطا، يا والدي الوقور، وشعاره يحمل صورة أثيوبيّ أسود يشير الى الشمس الساطعة، والكتابة الظاهرة عليها تقول : « نورك يضيء حياتي ».

سيمونيد : ان من يُعجب بحيوّتك يحبك كثيراً. من هو ثاني هؤلاء الفرسان؟ ليتقدّم.

(يمر ثاني الفرسان).

ثايسا : هو أمير من مقدونيا، يا صاحب الجلالة، وشعاره يحمل رسم فارس غلبته سيدة، والكتابة الظاهرة عليه تقول : « اللين أفضل من القوة ».

(يمر الفارس الثالث).

سيمونيد : من هو التالي؟

ثايسا : الثالث هو من انطاكية، وشعاره قلادة من الزهور ترمز

الى الفروسية، والكتابة الظاهرة عليه تقول : « الشرف الرفيع رائدي ».

(يمر الفارس الرابع).

سيمونيد : من هو الرابع؟

ثايسا : هو حامل مشعلٍ موقدٍ ومقلوب، والكتابة الظاهرة على شعاره تقول : « من يزكي لهيبي يطفئه ».

سيمونيد : هذا معناه أن روح الجمال يسيطر عليه، وهو قادر على اضرام شعلته كما هو قادر على اخمادها.

(يمر الفارس الخامس).

ثايسا : الفارس الخامس شعاره يد تحيط بها الغيوم، ممسكة بالذهب الذي ثبتت اصالته، والكتابة الظاهرة عليه تقول : « عند الامتحان يكرم من يصون الأمانة ولا يهان ».

(يمر الفارس السادس).

سيمونيد : من هو صاحب هذا الشعار السادس والأخير، الذي قدّمه فارس لبق أنيق؟

ثايسا : يبدو عليه أنه غريب عن هذه الديار، وشعاره غصن ذابل ليس فيه أي اخضرار ما عدا ذؤابته، والكتابة الظاهرة عليه تقول : « بهذا الأمل الوحيد أحيا ».

سيمونيد : هذه كلمة حلوة بليغة المغزى. إن حكمنا على هندام صاحبها المشعّث فلسان حاله يقول انه يأمل، بتعطّفك عليه، أن يسترجع أيامه السعيدة.

السيد الأول : لا بد لدواخله أن تكون أولى بكثير من مظاهره التي لا تبوح بسرّ طويته، ولا تنمّ عن مستوى رفيع، لأن هندامه المهمل ينطق بالبؤس ويوحي بأنه ضارب سوط أكثر مما هو حامل رمح.

السيد الثاني : ربما هو غريب، لأنه أقبل على مباراة ألعاب يقوم بها نبلاء، وهو مزوّد بعتاد غير مألوف.

السيد الثالث : فضلاً عن أنه ترك درعه يصدأ عمداً حتى هذا اليوم كي يمرّغه بالتراب ويكسبه اللمعان ثانية.

سيمونيد : خاطئة هي الفكرة التي تحكم على دواخل الانسان من مجرّد مظهره الخارجي. لكن مهلاً. ها هم الفرسان يقتربون. فتعالوا ننتقل الى الرواق.

(ينسحبون. ويسمع هتاف صاخب وصياح يقول : ليحيا الفارس الفقير).

المشهد الثالث

مأدبة جاهزة في قاعة حفلات

(يدخل سيمونيد وثايسا والسادة ووكيل القصر ورجال الحاشية، ثم الفرسان، وبينهم بيريكليس).

سيمونيد : أهلاً بكم، أيها الفرسان. أعمالكم تزيّن هذه الحفلة وفضائلكم تتصدّر أبرز صفحات الكتاب، ومفاخركم

الحربية أهل لأكثر مما يسعني أن أكرمكم به من مجد وجاه، لأن كل صنيع مشكور يستقطب ما يليق به من احترامٍ وتقدير. تأهّبوا للتمتع بالأفراح والليالي الماجنة التي تعتبر في الواقع صدى بسالتكم ومهارتكم، وأنتم ضيوفي في هذه الوليمة.

ثايسا (لبيريكليس) : أمّا أنت، فكن ضيفي أنا، وفارسي الخاص. اليك بغار الظفر هذا أكلّلك به كتاج في هذا اليوم المجيد.

بيريكليس : هذا دليل على حسن حظي أكثر مما استحق.

سيمونيد : قل ما شئت، أيها الفارس، فهذا نصر لك. أملي أن لا يحسدك عليه منافس. فعندما شاء الفنّ أن يبتدع الفنانين، لم يختر فارساً موهوباً أفضل منك. فتجسّمت فيك سمات العبقرية والنبوغ. تعالي، يا ابنتي، يا ملكة الحفلة، وأنت في الواقع أفضل الملكات، وأجلسي هنا في مكانك الى جانبي، قرب وكيل القصر، وهو عريف الحفلة، قبالة سائر النبلاء الأكارم.

الفارس : هذا تشريف عظيم لي منك، يا سيمونيد الصالح.

سيمونيد : حضورك بيننا يثلج صدورنا ويملأها بهجة. نحن نحبّ الشرفاء أمثالك، لأن من يكرههم يحتقر آلهة العلى.

الوكيل (لبيريكليس) : ها هو محلك هنا، يا سيدي.

بيريكليس : قد يكون غيري أولى به.

الفارس الأول : لا ترفضه ، يا سيدي، لأننا معشر الوجهاء لا

نحسد ولا نحتقر أحداً لا في ضميرنا ولا في تصرّفاتنا.

بيريكليس : أنت لبق جداً، أيها الفارس الكريم.

سيمونيد : اجلس، اجلس، أيها السيد العزيز.

بيريكليس : بحياة الاله المشتري، مالك الأفكار، هذا أمر مدهش حقًّا. إذْ لا يسعني أن آكل لقمة واحدة بدون أن تحوم خواطري حولها.

ثايسا : بحياة جينون ملكة نصيب الزواج، صدقوني إن قلت ان جميع المآكل التي أذوقها تبدو لي كأن لا طعم لها وأنا بعيدة عنه، ولا أشعر بميل أشد مما يجتذبني اليه. لا شك في أنه مولى أنيق ظريف.

سيمونيد : هو ليس إلا وجيه من الأرياف، ولم يأتِ بعمل يفوق ما أتاه غيره من الفرسان، إذْ كَسَر رمحاً وجعله نصفين. لنكفّ عن التكلّم في موضوعه.

ثايسا : يخيّل اليّ أنه كحجر من الماس، ازاء أحجار من الزجاج.

بيريكليس (على حدة) : أرى في هذا الملك صورة أبي، ويذكرني بما كان يحفّ به من أمجاد. هو أيضاً، كان الأمراء يتحلقون حول عرشه، وكان في محيطه كالشمس المشرقة. وكان جميع المعجبين بصفاته كمجموعة نجوم أقل تألّقاً منه، وأكاليلهم أقل لمعاناً من تاجه. بينما لم يكن ابنه سوى قبس نور في ليل دامس يبرق في العتمة لا في وضح النهار. لذا أشعر بأن الزمان يتحكّم بالرجال، لأنه يخلق أمجادهم كما يحفر قبورهم،

ويمنحهم ما يشاء لا ما يصبون اليه.

سيمونيد : هل أنت مسرور، أيها الفارس المقدام؟

الفارس الأول : كيف لا يكون المرء سعيداً في حضرتك، يا مولاي؟

سيمونيد : اذاً، فلتكن كؤوسكم ملأى حتى حافتها، ولتكن أنخابكم بمستوى شفاه حبيباتكم. ها أنا أشرب نخبكم جميعاً.

الفرسان : نشكرك على تلطفك هذا، يا مولانا.

سيمونيد : لكن مهلاً (يشير الى بيريكليس) هذا الفارس لا يزال هنا. ويُخيل اليّ أنه كئيب للغاية، لأن الاحتفال الذي يحيه بلاطنا لا يمنحه ما يستحقّه. أولا تلاحظين ذلك، يا ثايسا؟

ثايسا : أنت تعرف جيداً أن هذا لا يهمني كثيراً، يا والدي.

سيمونيد : اسمعي، يا ابنتي. ان الأمراء على هذه الأرض يشبهون الآلهة في العلاء، الى حدّ بعيد. وهم يغدقون هباتهم بسخاء على كل من يكرمهم. والفرسان الذين لا يتصرفون هكذا هم كالذباب الصغير الذي يضجّ ويحوم حولنا، وحين نقتله نعجب لنحافة حجمه. والآن لكي نهزّ مشاعر هذا الفارس الغريب، قولي له أننا نشرب نخبه.

ثايسا : آسف، يا أبي، ان أظهر بمظهر الجسورة أمام هذا الفارس الذي لا أعرفه. فلربما ظن بادرتي اهانة بحقّه. لأن الرجال عادة، كما لا يخفاك، يحسبون مبادرات النساء في أغلب الأحيان مجرد وقاحة لا تُغتفر.

سيمونيد : على كل حال، افعلي ما طلبته منك، وإلّا سبّبتِ لي الكدر والانزعاج.

ثايسا (على حدة) : وأنا لا شيء يفرحني في هذا الموضوع.

سيمونيد : ثم اسأليه من أين هو قادم، وما اسم أسرته؟

ثايسا (لبيريكليس) : يا سيدي، يودّ أبي الملك أن يشرب نخبك.

بيريكليس : أشكره جزيل الشكر.

ثايسا : وهو يتمنى أن تبتهج بنخبه هذا.

بيريكليس : أشكرك أنت أيضاً، وأكرر لك امتناني نظراً الى اللفتة الكريمة التي تخصّينني بها. وأرجوك أن تعلمي بأني من صميم قلبي أقدّر بادرته المشرفة.

ثايسا : ثم، هو يودّ أن يعرف من أين أنت، وما اسم اسرتك؟

بيريكليس : أنا وجيه من صور، واسمي بيريكليس، وثقافتي تشمل مختلف الفنون واستعمال السلاح. ابحث عن المغامرات في طول بلاد الدنيا وعرضها. ولقد جارت عليّ أمواج البحر الصاخب، وأفقدتني سفني ورجالي الأشدّاء. وبعد غرق كل ما كان لي من متاع وقوّة وجاه، لفظتني اللجة العاتية على شواطئكم.

ثايسا (لسيمونيد) : هو يشكر جلالتكم، يا أبي. اسمه بيريكليس ويقول أنه وجيه من صور، هبّت عليه عاصفة بحرية وابتلعت سفنه ورجاله وقذفته الأمواج المتلاطمة إلى هذا الشاطئ.

سيمونيد : بحق الآلهة، أنا متأثر جداً لحاله من جرّاء هذا الحادث الأليم. وأودّ أن أخفّف من حزنه وكآبته. فيا سادة،

بعد أن أنشغلنا بأمور تافهة، هيّا نغنم وقتنا الذي يجمل بنا أن لا نقضيه في اقتناص الملذات العابرة. إن الدروع التي تحملونها تناسب تماماً نوع الرقص الذي يميل اليه الجنود. وأنا أفضّل هذه الموسيقى الحماسية التي ربما أزعجت أسماع السيدات اللطيفات لأنهن يفضّلن عليها صحبة رجال السلاح كما يحببن نشاطهم في أحضانهن فوق الأسرّة الوثيرة. (يرقص الفرسان والسيدات معاً). ها أناذا أرى ان المطلوب قد نُفّذ على أحسن ما يرام. (لبيريكليس) : اليك، يا مولاي، بهذه السيدة التي لا تمانع في إرهاق أنفاسها بحركات الرقص. وقد بلغني أن فرسان صور بارعون في استدراج السيدات، وهم يُتقنون كافة فنون الرقص.

بيريكليس : أجل، يا مولاي. لا سيما من درجوا على ممارسة هذه النشاطات المحببة.

سيمونيد : ألاحظ أنك تتكلم بأسلوب من لا يميل الى تلبية مثل هذه الدعوة الظريفة. (يتواصل رقص الفرسان والسيدات). توقفوا، توقفوا أيها الفرسان. أشكركم جميعاً لأنكم قمتم كلكم بأرشق أساليب الرقص. (يتوجه الى بيريكليس). وأنت أحسنت بنوع خاص وفُقْتَ الجميع بمهارتك النادرة. هيا، أيها المرافقون قُودوا الفرسان الى المضافات المخصّصة لهم. (لبيريكليس) أمّا أنت، يا سيد، فقد أصدرت أوامري لإحلالك في مكان قريب منا.

بيريكليس : أنا رهن اشارتك، يا مولاي.
سيمونيد : أيها الأمراء، الوقت متأخر للتحدث الآن في شؤون الحب وشجونه، مع أنكم كلكم شوق الى مباهجه. فليذهب كل منكم لأخذ قسطه من الراحة. وغداً تجتهدون جميعاً للتعويض عما فاتكم في هذا الميدان.

(يخرجون).

المشهد الرابع

في قصر حاكم صور.

(يدخل هيليكانوس وإسكانيس).

هيليكانوس : اعلم، يا إسكانيس، بأن انطيوخوس قد انغمس في اغتصاب احدى ذوي قرباه، فشاءت الآلهة أن تنزل به أقسى العقاب الذي يستحقه على هذه الجريمة النكراء. في الواقع، حتى في أوج مجده، وحين كانت ابنته جالسة بأبهة الى جانبه في عربة لا تقدّر بثمن، إنطلقت نار من السماء وكادت تحرق جسديهما المدنّسين. لأن النتانة تفشّت فيهما الى حد جعلت جميع الذين كانت عيونهم شاخصة الى بهائهما إعجاباً يحولون تقديرهم الى احتقار لدى سقوطهما هكذا في أحطّ دركات

الفسق. لكن نظراً الى وقارهما السابق تنازلوا الى دفن زلّاتهما طي الكتمان والتغاضي.

إسكانيس : هذا أمر غريب حقاً.

هيليكانوس : أجل، لكنه غير عادل. لأن هذا الملك مهما كان عظيماً لم تتمكن أمجاده من أن تشفع به وتصونه من صواعق السماء التي دمّرت عزّته وشموخه، فنال جزاء ما جنت يداه.

إسكانيس : وهذا صحيح جداً.

(يدخل ثلاثة من السادة).

السيد الأول : لم يُقبل أحد سواه على الاشتراك في المناقشة أو في المشورة.

السيد الثاني : أمّا هذا الوضع فلا يُحتمل أن يدوم طويلاً، إذ لا بدّ من اصلاحه بأقرب وقت.

السيد الثالث : ويكون معلوناً كل من لا يساهم في هذا الواجب.

السيد الأول : اتبعوني اذاً... أيها السيد هيليكانوس لي كلمة أقولها لك.

هيليكانوس : لي أنا؟ أهلاً وسهلاً. نهاركم سعيد، أيها السادة الأجلّاء.

السيد الأول : ألا اعلموا أن تذمّرنا من هذه الوقاحة بلغت أقصى حدها وقد طفح كيلها.

هيليكانوس : تذمركم من وقاحة؟ ما هي؟ أرجوكم أن لا تهينوا الأمراء الذين نقدّرهم ونحترمهم.

السيد الأول : لا تحسب أن الاهانة موجهة اليك شخصياً، يا أيها النبيل هيليكانوس. فإن كان الأمير لا يزال حياً، دعني أحيّيه، أو قُلْ لي أين هو الآن؟ وان كان غائباً وعلى قيد الحياة، سنبحث عنه حتى نجده. أما إن كان قد ضمّه القبر سنجد مقرّه الأخير، ولن نظل حائرين بين الشك واليقين. فإن كان حيًّا لا بدّ من أن يكون حاكمنا، أو ميتاً فعلينا أن نندبه ونبكيه، ونكون عندئذ أحراراً في اختيار سواه بدون تأخير.

السيد الثاني : قد يكون رحيله مرجّحاً على بقائه في هذه الدنيا. وفي هذا الحال نعتبر أن مملكته بحاجة الى من يتولّى ادارة شؤونها. وإلاّ أصبح عرشه كبيت بلا سقف، مصيره الخراب والزوال. وعليك، أيها المولى النبيل الأجدر بالحكم من سواه، أن تتسنّم هذا العرش وتملك. ونحن على أتم الاستعداد من الآن وصاعداً لأن نجلّك ونخضع لسلطتك.

الجميع : ليحيا النبيل هيليكانوس المبجّل.

هيليكانوس : أصغِ الى صوت هؤلاء الأشراف وأمتثل لاختيارهم. إن كنت تحبّ الأمير بيريكليس، وجب عليك أن تلبي رغبتهم. وإن لم أساند أنا طلبهم أصبح كمن يغامر في ركوب البحر الهائج ويتعرّض الى الأنواء طوال ساعات، ولا يلبّي نداء قلبه دقيقة واحدة راضياً مغتبطاً. دعني اذاً ألتمس منك أن تصبر على غياب ملكنا أيضاً

بعض الوقت. وعندما تنقضي المهلة المعقولة بدون أن يعود، سأضطر بحكم تقدمي في السنّ الى القبول بالنير الذي يفرضه عليّ الواجب. ولكي تبرهن لي على مودّتك، أرجوك أن تنطلق بصفتك من أصدق المخلصين المحترمين للحبث عن أميرنا الكريم، ولا تدّخر أي جهد في مسعاك هذا أثناء مغامرتك الخيّرة. فاذا وجدته وأقنعته بالعودة الينا، ستصبح أنت وسائر مناصريه كالماسات التي تزيّن تاجه الكريم.

السيد الأول : من لا ينقاد الى الحكمة المتبصّرة يكون مستهتراً ضعيف الضمير. وبما أن مولانا هيليكانوس يحرضنا وينضمّ الينا ويؤازرنا سنخوض المعركة معاً بحماس لا يعرف الكلل ولا الملل.

هيليكانوس : وهكذا نبرهن أيضاً على أننا كلنا نحب بعضنا بعضاً محبة حقيقية مجرّدة، وستتضافر أيدينا بمودة واخلاص، إذْ حين يتّحد الكبار بصدق وأمانة يظل الملك معزّزاً موطّد الأركان.

(يخرجون).

المشهد الخامس

في قصر بنتابوليس

(يدخل سيمونيد، وهو يقرأ رسالة، ويواجه الفرسان).

الفارس الأول : نهارك سعيد، يا سيمونيد الصالح.

سيمونيد : أيها الفرسان الشجعان، أقول لكم بلسان ابنتي انها مصمّمة على أن لا تتزوّج قبل مرور عام من الآن. ولم تفصح عن الأسباب التي دعتها الى اتخاذ هذا القرار، وأنا بنفسي لا أعرف دوافعها.

الفارس الثاني : ألا يمكننا أن نقابلها، يا مولاي؟

سيمونيد : لا أظن أن هناك سبيلاً الى لقائها في الوقت الحاضر. لأنها حبست نفسها في حجرتها وأوصدت الباب وراءها، فأمسى مطلبكم مستحيلاً. وهي تريد أن تظل على هذا الوضع طوال اثني عشر شهراً قمرياً على ما بلغني. وقد أعلنت نذرها هذا بحضور سنْتيا وأقسمت بشرف بكارتها أنها لن تتراجع عن تصميمها وعزمها الصادق في هذا المضمار.

الفارس الثالث : مهما كان وداعك هذا صعباً علينا، نستأذنك بالانصراف.

(يخرجون).

سيمونيد : هكذا أراهم قد مضوا مقتنعين. والآن الى رسالة ابنتي التي تقول لي فيها انها تريد الاقتران بالفارس الغريب. وإلّا أبت البقاء على قيد الحياة يوماً واحداً. في الحقيقة، ان أمنيّتها هذه تنطبق تماماً على رغبتي. وأنا سعيد باختيارها هذا. لكنها هنا تفرض مشيئتها فرضاً، ولا تبالي إن كان هذا التصميم يرضيني ويسرّني أو لا. على كل حال، أنا موافق على اختيارها، ولا أريد أن تؤجّل تنفيذ مبتغاها. ها هوذا فتاها الوسيم آتٍ، وعليّ أن أجامله.

(يدخل بيريكليس).

بيريكليس : أتمنى كل الغبطة والسعادة لسيمونيد الصالح.

سيمونيد : وأنا أتمنى لك ذات الأمنية، يا سيدي. اني مسرور وممتنّ لنزهتك الليلية قرب نافذتي، لأن أذنيّ لم تستعذبا نغماً أرخم مما تغنّيت به.

بيريكليس : ان ثناءك على ما أبديت هو استلطاف منك لا أستحقه.

سيمونيد : أنت، يا مولاي، سيّد فن الموسيقى.

بيريكليس : لا بل أنا أردأ تلميذ في هذا المجال، يا مولاي.

سيمونيد : دعني أطرح عليك السؤال التالي : ما رأيك بابنتي؟

بيريكليس : انها أميرة فاضلة.

سيمونيد : وهي علاوة على ذلك جميلة. أليس كذلك؟

بيريكليس : أجل هي كالصباح المشرق، بل آية في الحسن والبهاء.

سيمونيد : اعلم يا سيدي، ان ابنتي تتوسّم فيك كل النبل والخير. أجل هي تنظر اليك كأفضل الخلائق كلها. فلماذا لا تكون أستاذها، ما دامت هي تودّ أن تكون تلميذتك؟ فكّر مليًّا في الأمر.

بيريكليس : لكنني لست أهلاً لأن أكون معلّمها.

سيمونيد : كلامك يخالف نظرتها اليك. والأوْلى بك أن تقرأ ما كتبته بيدها.

بيريكليس (على حدة، يقرأ الرسالة التي ناوله إياها سيمونيد) : ماذا أرى؟ هذه الرسالة تقول ان كاتبتها تحبّ فارس صور. أوليس ما ورد فيها وسيلة خفية لكي يسلبني أبوها الملك حياتي. (بصوت مرتفع) يا مولاي الكريم، لا تحاول أن توقع بمثل هذا الشرك وجيهاً غريباً تعيساً لم يجرؤ أبداً على حب ابنتك، ولم يفكّر إلا بتكريمها، فقط.

سي يد : أنت تراوغ، أيها الخائن.

بير. ليس : هل تعتبرني خائناً؟

سيم يد : أجل، أيها الأستاذ المحتال.

بيري.. يس : لو لم تكن ملكاً، لكنت رددت على من يتهمني بالخيانة، بأنه أقبح المنافقين.

سيمونيد (على حدة) : بحق الآلهة، أنا معجب كل الاعجاب بشجاعتك النادرة.

بيريكليس : أعمالي نبيلة نظير أفكاري التي تأبى إلا أن تكون سامية. لقد جئت الى بلاطكم حباً بالشرف الأصيل وليس للتمرّد

على قوانينه العادلة. وكل من يظن بي سوءاً سأقوّم أعوجاجه ولؤمه بحدّ هذا السيف البتّار الذي طالما عاقب عديمي الشهامة والمروءة.

سيمونيد : لا، لا. ها هي ابنتي قادمة، وهي تستطيع أن تؤيّد أقوالي.

(تدخل ثايسا).

بيريكليس (لثايسا) : أرجوك، يا صاحبة الفضيلة والبهاء، أن تهدّئي روع والدك الغاضب. أرجوك أن تقولي له إن لساني لهج بذكر مزاياكِ، وما خطّت يدي ما يمكن أن يشابه كلام الحب موجّها الى سموّك.

ثايسا : يا سيدي، عندما تفعل ذلك تكون قد أقدمت على ما لا يسوغ لأحد أن يفسره كإهانة، لأن كلامك في الحقيقة نال كل اعجابي.

سيمونيد : أحسنتِ، يا بنيّتي، وان كنت تعتبرين ان موقفك لا يقبل الردّ والاعتراض. (على حدة) ان تصريحك أفعم قلبي سروراً. (بصوت مرتفع) أنا مستعد لضبط تصرّفك وإعادتك الى حظيرة الطاعة والخضوع لمشيئتي... وقد تجرأتِ بدون موافقتي العلنية على منح حبّك وعطفك شاباً غريباً عنّا. (على حدة) قد يكون مساوياً لي بالمقام، على ما أرى. (بصوت مرتفع) هلاّ أصغيت اليّ، يا عزيزتي. عليك ان تتعلمي اخضاع ارادتك لرغبتي. وأنت، أيها السيد الكريم، ارجوك أن تصغي الى ما أقوله لك

بوضوح. دعني أوجّهك وأجعلك... زوج المرأة.. هيا اعطني يدك ودع شفتيّ تبارك هذا الاتفاق. فالآن وقد تمّ اللقاء سأحقّق كل آمالك. وفضلاً عن ذلك... أتمنى أن يدخل السرور الى قلبيكما... فهل أنتما مغتبطان معاً؟

ثايسا (توجّه كلامها الى بيريكليس) : أنا راضية اذا كنت حقاً تحبّني، يا سيدي.

بيريكليس : ما أروع الانسجام بين الحياة الحلوة والأماني التي تهدهدها.

سيمونيد : هل أنتما فعلاً متفاهمان ومتفقان الى هذا الحد؟

كلاهما : أجل، اذا كان هذا يرضي جلالتك.

سيمونيد : طبعاً يفرحني كثيراً ان أراكما عريسين تغمر البهجة فؤاديكما. ولذا أرجو أن تذهبا بأقرب وقت الى النوم في سرير واحد تظلّلكما أجنحة الحب والهناء.

(يخرجون).

الفصل الثالث

مقدمة

(يدخل غوير).

غوير : الآن خفّف النعاس من حماس الأمير
فلم يُسمع في القصر سوى صوت الشخير،
تزيده صخباً تلك البطون التائقة
الى أطعمة الموائد اللذيذة الشائقة.
وهناك قطّة بعينيها البرّاقتين
تتناوم رابضةً أمام مخبأ فأرتين
والصراصير تنشد قرب نار الموقد
كأنها فرحى بأنوار الفرقد
أمّا العريس فيحمل عروسه الى السرير
حيث يقومان، رهن الايمان والتأشير،
بصياغة طفل ناعم الجسم كالحرير.
تخيّلوا اذاً ما حدث من تبادل
يفسّره مجرى الأمور بالتعامل.

(ايماءات بدون كلام).

يدخل بيريكليس من الباب وسيمونيد وحاشيته ورسول يلاقيهم، ثم يركع ويقدّم رسالة لبيريكليس. ويعرض هذا الأخير رسالته لسيمونيد. يركع السادة أمام بيريكليس. حينئذٍ تدخل ثايسا منتفخة البطن وتتبعها ليكوريدا. يقدّم سيمونيد الرسالة لابنته التي تبدي سرورها وتستأذن الملك وتخرج بصحبة بيريكليس. ثم يخرج سيمونيد وحاشيته.

غوير : بين التلال والسهول والوهاد
يبحث الرجال عن بيريكليس في أرجاء البلاد.
وفي الجهات الأربع من العالم الغريب
لا يملّ السادة والخدم من التنقيب،
باجتهاد وسعي متواصل كرًّا وفرًّا
فوق الخيل براً وعلى متن السفن بحراً
باذلين باهظ النفقات وأوثق الوعود
في سبيل العثور على الشخص المنشود.
أخيراً الى صور قادت الأقاويل الباحثين
والى بلاط سيموند وصلت رسالة تعجّ بالأنين
مضمونها المشؤوم من صنع أيدي المتآمرين
اذ مات انطيوخوس وابنته الجميلة العزيزة
فهبّ شعب صور تدفعه الحاجة والغريزة
لتتويج هيليكانوس الحكيم ملكاً عليهم.
لكنه تمنّع عن قبول مبدأ اقتراحهم
وسارع الى اقناع جميع مريديه ومحبّيه
بأنه سيرضى في المستقبل بقرارهم ويلبيه

متى انقضى اثنا عشر شهراً قمرياً بالتتالي
ولم يرجع الملك بيريكليس من عتمة الليالي.
عندئذ سيجلس على العرش ولن يبالي.
فانتشرت هذه الأنباء في بنتابوليس
وفرح الجميع بخليفة بيريكليس
وهتفوا بفرح للملك العتيد
الوفي الشهم والمخلص العنيد.
بالاختصار، بعد مرور بعض الزمان
صمّم بيريكليس على العودة بسلام وأمان
وعروسه الفاتنة برفقته حبلى
تسمع آيات المديح بفضائلها تُتلى.
فانقلبت الأتراح والأحزان أفراحاً
والأسف والأسى أضحى آمالاً ملاحاً
فاصطحبت العروس مرضعها ليكوريدا
وأبحر الجميع لا يبغون لحكم القضاء مزيدا
وهاجت الأمواج العاتية وماجت
وفي منتصف الطريق كثرت المخاوف وراجت
وطغت العاصفة على السفينة الماخرة
وسط الأنواء وجنون الرياح الهادرة
فصاحت الحبلى هلعاً على مصير جنينها
ومن شدة الانفعال لم تتمالك روعها.
فولدت طفلتها قبل اكتمال حملها

وما تبع الحادث الجلل من غريب
تُبيّنه النصوص الحافلة بكل عجيب.
لذا ألْتمسُ منكم أن تتصوّروا برهبة
مشهد الأمير وهو على متن السفينة
تتلاعب بها عناصر الطبيعة المجنونة
وهو يناشد السماء أن تعيد اليه السكينة.

المشهد الأول

في سفينة تمخر عرض البحر

(يدخل بيريكليس).

بيريكليس : يا إله الكون الفسيح، أُلجم هذه الأمواج الثائرة التي تقلق راحة السماء والجحيم. أنت يا من يأمر اللجة، إسجنها في أعماق هذا الخلقين الهائل. وهدئ رعودك المدويّة واطفى لهيب بروقك المحرقة. يا ليكوريدا، كيف حال مولاتك الواجفة؟ وأنت أيتها الرياح الهوجاء لا تكوني كالسموم القاتلة. ألاَ تسمعين صفير القبطان يصمّ الآذان في ظل الموت المتربص بضحاياه الأبرياء أولاَ تسمعينه يا ليكوريدا؟ وأنتِ، يا لوسين إلهة النسل، تلطّفي وساعدي من تعاني آلام المخاض في ظلام الليل،

واشملي برحمتك سفينتنا المترنّحة وخففي أوجاع زوجتي وهوّني عليها وضعها. ماذا تقولين، يا ليكوريدا؟

(تدخل ليكوريدا وبين ذراعيها طفلة).

ليكوريدا : ها هيذا مخلوقة صغيرة جداً جاءت الى هذه الدنيا الرهيبة. لو كان لديها وعي لماتت هلعاً مما أنا أموت منه لوعةً. تناول بين ذراعيك هذه القطعة النحيلة الخارجة من أحشاء زوجتك التي اختطفها منا المنون في هذه اللحظة.

بيريكليس : ماذا تعنين بهذا القول؟

ليكوريدا : صبراً، يا مولاي الفاضل. لا تفقد أعصابك. فهذه الطفلة هي كل ما بقي حياً من كيان زوجتك المغدورة. تشجّع وواجه هذا الواقع الأليم ببسالتك المعهودة.

بيريكليس : أيتها الآلهة، لماذا تزيّنين لنا حب هباتك الرائعة، ثم لا تلبثين أن تحرمينا اياها على عجل؟ نحن في هذه الدنيا لا نسترجع ما نجود به عليّ البشر من عطاءات. وأظن أننا الآن نلقّنك درساً لا ينسى في الكرم والسخاء.

ليكوريدا : صبراً، يا مولاي، بحق هذا الحمل الخفيف الذي تضمه الى صدرك.

بيريكليس (يكلّم الطفلة) : أرجو أن تكون أيامك حلوة نظيرك يا صغيرة. إذْ لم يخلق طفل مثلك في جوّ عابس مكفهرّ كهذا. املي أن تكون طبيعتك مسالمة وصالحة بعكس هذه

الأنواء المعربدة. أنا لا أعتقد بأن طفلة أمير استُقبلت في هذا العالم بمثل رداءة أحوالنا الحاضرة. أتمنى لك السعادة من كل قلبي. حقاً أن مولدك رافقته أسوأ عناصر الطبيعة من نار وماء وعواصف عنيفة اجتمعت بصخب لتعلن قدومك الى هذه الدنيا. أمّا الخسارة التي انتابتك بفقد أمك منذ أن رأت عيناك النور فهي فادحة لا تُعوّض. أتوسل الى الآلهة الكريمة أن تغمرك بعطفها وتصونك من الشدائد المقبلة.

(يدخل بحّاران).

البحّار الأول : أين شجاعتك، يا مولاي؟ حفظتك الآلهة سالماً.

بيريكليس : شجاعتي كافية، ولا أخشى العاصفة لأنها أتت بما استطاعت من أسوأ الأعمال. مع ذلك حبًّا بهذه الطفلة البريئة التي تعاني لأول مرة متاعب البحر، أرجو أن تهدأ العاصفة ويعود السكون والصفاء.

البحار الأول : اضبط حبال الأشرعة، يا صاح. هل سمعت ما قلتُ لك؟

البحار الثاني : أتوقع الهدوء قريباً رغم تطاير زبد البحر الذي يكاد يلامس القمر في كبد السماء. وأنا لست قلقاً على الاطلاق.

البحار الأول : مولاي، لا بد من رمي جثمان الملكة الى البحر ما دامت الأمواج متلاطمة والرياح جنونية. لأن البحر لن يهدأ، والموت قابع على متن السفينة.

بيريكليس : أن ما تتفوّه به ليس إلّا افتراضاً.

البحار الأول : اعذرني، يا مولاي. هذه ملاحظة أكيدة ثبتت صحتها مراراً ونحن في عرض البحر نغالب الموت. في الحقيقة لا يسعني إلا أن أتمسك بهذا التقليد القديم. لذلك أسألك أن تنفّذ حالاً ما لا بدّ من إجرائه. اذ لا مناص من إلقائها الى البحر بدون امهال.

بيريكليس : افعلوا ما ترونه ضرورياً. آه، لهفي على الملكة الكريمة.

ليكوريدا : ها هي متمدّدة هنا.

بيريكليس : لقد عانيتِ مخاضاً عسيراً، يا عزيزتي. وليس من نور يؤنس عتمة محنتك ولا من نار تدفئُ برودة صقيعك. فان عناصر الطبيعة العدائية قد انقضّت عليك بوحشية. ولم تترك لي المجال والوقت اللازم للقيام بمراسم دفنك. ولا أجد الآن أمامي أي خيار. اذ أراني مضطراً هكذا إلى القاء جثمانك في لجة البحر تحت جنح أحلك الظلمات، ولا سبيل الى اضاءة نور واشعال نار كي لا تذهبي طعمة السمك والحيتان في سواد هذا الليل الدامس القارس. فأرجو أن تحملك الأمواج وتضجعك برفق فوق الأصداف الناعمة الملساء. يا ليكوريدا، نادي نسطور واطلبي منه أن يأتي بالعطور وبورق وحبر، وبصندوق المجوهرات. وقولي لنيكاندر أن يجلب لي العلبة المبطنة بالحرير. ضعي فيها الطفلة على الوسادة، وأسرعي بينما أنا أتمّم فروض الوداع الديني الواجب

لثايسا. هيّا أسرعي، يا امرأة.

(تخرج ليكوريدا).

البحار الثاني : يا مولاي، لدينا صندوق جاهز محكم الغلق ومطليّ بالزفت.

بيريكليس : شكراً أيها البحّار. قل لي ما اسم هذا الشاطئ؟

البحار الثاني : نحن على مشارف طرسوس.

بيريكليس : هيا بنا، أيها البحار الأمين، ننزل هنا بدلاً من التوجّه الى صور. متى تتمكّن من ارساء السفينة هناك؟

البحار الثاني : عند طلوع النهار، اذا هدأت الرياح.

بيريكليس : اذاً توجّه الى ميناء طرسوس، حيث سأزور كليون. لأن الطفلة لا تتحمّل مشقات السفر الى صور. وأودّ أن أودعها من يؤمّن لها العناية الفائقة التي تحتاج اليها. أكمل طريقك أيها الملاّح الصالح. سآتي بالجثمان حالاً.

(يخرجون).

المشهد الثاني

منزل في أفسس تبدو عليه مظاهر الغنى

(يدخل سيريمون، وخادم وأشخاص نجوا من الغرق)

سيريمون : يا فيليمون.

(يدخل فيليمون).

فيليمون : هل ناداني مولاي؟

سيريمون : أوقد النار، وأطعم هؤلاء الناجين المساكين. لأن ليلتهم كانت من أقسى الليالي.

الخادم : لقد مرت بي صعاب كثيرة. لكني لم أشاهد محنة أشد من الليلة البارحة الهائلة.

سيريمون : أظن أن سيدك ستدركه الوفاة قبل أن يعود، إذ لا شيء مما يسعنا أن نعالج به أي انسان، يقوى على انقاذ حياته. (لفيليمون) سلّم هذا الحنجور للصيدلي، وأخبرني عن ردة فعله.

(يخرج فيليمون والخادم والناجون من الغرق).
(يدخل وجيهان).

الوجيه الأول : نهارك سعيد، يا سيدي

سيريمون : لماذا نهضتم من النوم هكذا باكراً؟

الوجيه الأول : لأن مسكننا المنفرد قريب جداً من أمواج البحر الصاخب. وخيّل إلينا أن أضخم أخشاب السفينة على وشك أن تنهار وتتهدّم فوق رؤوسنا. لذا لم نتمالك روعنا من شدة الهلع فبادرنا الى مغادرة المنزل.

الوجيه الثاني : وهذا بالذات ما دعانا الى إزعاجكم في مثل هذه الساعة المبكرة.

سيريمون : الحق الى جانبكم.

الوجيه الأول : عجبي، يا مولاي، من إهمالكم ما يتسنى لكم من الراحة والأمان، رغم ما هو عليه مقرّكم من الرخاء والرفاه. ومن الغريب جداً أن يبحث مخلوق مثلك عما هو في غنى عنه من المتاعب بدون أن يضطر الى الرحيل.

سيريمون : لقد اعتقد دائماً أن الفضيلة والمعرفة هما أثمن من النبل والثراء. فان الورثة المبدّدين لا يضيرهم أن يخسروا الميزتين الأخيرتين. بينما الموهبتان الأوليان تمنحان الانسان الخلود وتضعانه في مصاف الآلهة. معروف عني اني درست الطب، وعندما اكتشفت أسرار هذا الفن واستشرت أُولي الشأن واكتسبت بعض الخبرة المشكورة في هذا المجال، أصبحت مألوفة لديّ مجموعة الصفات المباركة الكامنة في منافع النباتات والمعادن والأحجار. وبتُّ قادراً على التحدث عن حسنات العلاجات وسيئاتها. وأراني راضياً عن الاطمئنان الحقيقي الذي تولّده في نفسي بوادر الشرف الرفيع أو الثروات التي أجنيها بأساليبي الخاصة وأخبّئها في أكياس حريرية أحفظها لمداواة الجنون أو للأنقاذ من الموت المرجّح.

الوجيه الثاني : لقد بلغني ما أسديته من أفضالك في أفسس على لسان من غمرتهم بمعروفك وانتشلتهم من الهلاك المحتّم. وهم يعترفون بجميلك علناً وبوفرة ما جدت به من مالك على السيد سيريمون الذي أضفيت عليه أيضاً شهرة لا يخمد وهجها مع مرور الزمان...

(يدخل خادمان يحملان صندوقاً).

الخادم الأول : هيّا قرّبه.

سيريمون : ما هذا؟

الخادم الثاني : هذا صندوق لفظه البحر قبل أن تهدأ أمواجه منذ هنيهة. وقد سقط أثناء غرق احدى السفن.

سيريمون : ضعوه على الأرض لنفحصه.

الوجيه الثاني : انه شبيه بالنعش، يا سيدي.

سيريمون : مهما كان هذا الصندوق أجده ثقيلاً جداً. هيّا افتحوه، واكسروه اذا لزم الأمر. فإن كان بطن البحر يحوي ذهباً فإنه يتحفنا بهدية غالية وهذا طبعاً لحسن حظنا.

الوجيه الثاني : بدون شك، يا مولاي.

سيريمون : انه محكم الغلق ومطليّ بالزفت. أَوَ تقول ان البحر لفظه مؤخراً؟

الخادم : لم اشاهد في حياتي أمواجاً أضخم من التي قذفته الى شاطئنا.

سيريمون : هيا، هيا، افتحوه ولو بالقوة. لا بل تمهلوا قليلاً، لأن رائحة عطرة تفوح من جوانبه.

الوجيه الثاني : أجل رائحته عطرة جداً.

سيريمون : وأطيب من كل ما شممته من عبير. هيا افتحوه. لكن، أيتها الآلهة القديرة، ما هذا؟ أرى جثة بشرية.

الوجيه الأول : أمر غريب للغاية.

سيريمون : وهي مكفّنة بنسيج فاخر ثمين ومطيّبة بأغلى العطور، ومصحوبة ببطاقة. أيها الاله أبولون، خوّلني المقدرة على فكّ رموز هذه الحروف الغامضة.

(يفتح ورقة سميكة ويقرأ).

هنا اسمحوا لي بتقديم نصيحة
إذا لامس هذا النعش السطيحة
أكون أنا الملك بيريكليس قد فقدتُ
ملكةً تساوي من الأمجاد ما جمعتُ
فان لقيها أحد أرجو منه أنْ يدفنها
فيجني، فضلاً عن الثواب، بركاتٍ يستدرّها
من الآلهة التي تكافئ بقدر ما في وسعها
اذا بقيتَ حيًّا، يا بيريكليس، فان قلبك الرقيق العطوف
سيتفطّر ألماً وحزناً على ما حدث في هذه الليلة الليلاء
من كوارث هائلة.

الوجيه الثاني : هذا رأيي أنا أيضاً، يا مولاي.

سيريمون : حتماً هذه الليلة شهدت مصرعها، لأن منظرها يدل على أنها لا تزال نضرة هي التي... ما أقسى قلوب الذين ألقوها الى البحر ولم يعالجوها. أوقدوا النار بقربها، واذهبوا واجلبوا لي جميع العلب من غرفتي. فالموت يمهل أنفاس الانسان أحياناً بضع ساعات. ولا ننسَ أن شعلة الحياة قد تنتعش في الأذهان المرهقة أحياناً. فقد

بلغني أن مصرياً ظل تسع ساعات غائباً عن الوعي، ثم عادت اليه أنفاسه بعد اسعافات جاءت في أوانها. (يدخل خادم حاملاً بعض العلب وفُوَطاً وناراً). حسناً. هاتوا النار والفوط، ودعوا الموسيقى الحزينة تصدح، وأعطوني الحنجور مرة ثانية. تحرّك أيها الروح الجامد. ولترنّ الأنغام مجدّداً. أرجوكم، أيها السادة، أن تدعوا الهواء يصل اليّ. فهذه الملكة ستحيا. وستستيقظ من سباتها وتعود الحرارة لتدبّ في أوصالها. لأنها لم تمكث في غيبوبتها حتى هذه اللحظة أكثر من خمس ساعات. أنظروا كيف سترتعش فيها بوادر الحياة.

الوجيه الأول : السماء، يا مولاي، تزيدنا بمهارتك اعجاباً على اعجاب وتذيع شهرتك الى الأبد.

سيريمون : ها هي قد عاشت. انظروا الى محجريها وهما إطار الجواهر السماوية التي فقدها بيريكليس. ها هي أهدابها الطويلة الناعمة قد أخذت تتفتح. وهاتان الماستان اللمّاعتان قد بدأتا تزهران ببهجة الدنيا. هيّا إحيي ودعينا نبكي فرحاً لدى سماع مصيرك العجيب، أيتها الصبية الرائعة النادرة البهاء.

(تتحرك).

ثايسا : أيتها الملكة الحبيبة سيدة الإلهة ديانا، أين أنا الآن؟ وأين مولاي؟ وفي أي عالم أنا هائمة؟

الوجيه الثاني : أوليس هذا أمراً عجيباً؟
الوجيه الأول : بل هو خارق الطبيعة.
سيريمون : سكوتاً، أيها الأصحاب الأعزاء. أرجوكم أن تساعدوني على نقلها الى الحجرة المجاورة. اعطوني فوطة. والآن لا بد من السهر عليها باستمرار. لأن انتكاساتها ستكون مميتة مؤسفة. تعالوا، أيها الحراس، تعالوا. وليحفظها اسكولاب إله الطب من كل أذى.

(يخرجون حاملين ثايسا).

المشهد الثالث

في قصر كليون بطرسوس

(يدخل بيريكليس وكليون وديونيسا وليكوريدا ومارينا)

بيريكليس : أيها الوقور كليون، أود أن أتحدث اليك. لقد انقضت الأشهر الأثنا عشر، وصور تعيش في هدوء هشّ. أرجوا أنت وزوجتك أن تتقبّلا عرفاني جميلكما من كل قلبي، واسأل الآلهة أن تعوّض لكما كل ما بذلتماه من جهود في سبيلي بسهرك على ابنتي.
كليون : ان الكارثة التي حلّت بك أدمت قلبينا نحن أيضاً.

ديونيسا : كم هي فاتنة مولاتي ملكتك التي عانت من قساوة الأيام وهي تستقطب انتباهنا.

بيريكليس : المرء لا يسعه إلا الخضوع للقوى التي تسيطر عليه. فعندما سأعبّر عن ثورة غضبي وأهدر كالبحر الهائج الذي دفنت زوجتي في طياته، لن تكون الحصيلة أفضل مما هي عليه الآن. أما أنت يا ابنتي مارينا فلأنك ولدت فوق أمواج البحر سأخصّك بكل حنوّي وأعتبرك سلواي في وحدتي. ثق يا كليون، بأني سأمنحها ثقافة تليق بأميرة وتبرهن على كرامة محتدها.

كليون : إطمئن، يا مولاي، فلقد جدتُ على بلدي بتقديم القمح، وهذه منّة لا ينساها شعبنا المخلص. لذا نأمل أن تنسكب بركتك على هذه الطفلة الرائعة. فاذا اسأت أنا التصرف إهمالاً فإن الأمة التي لم تبخل عليها بالمساعدة تذكرني بواجبي. لكن اذا احتجت الى من يدفعني الى إداء واجبي فما على الآلهة إلا أن تقتص مني ومن ذرّيتي الى آخر أجيالنا.

بيريكليس : أنا أصدق قولك. فطيبة قلبك وشرفك يكفيان لاقناعي بانك صالح، ولا داعي للجوئك الى أي إثبات. وحق الإلهة ديانا التي نحن كلنا نجلّها، لن يمسّ المقص شعرة واحدة من رأسي، وان ظهرت بمظهر المهمل المتعنّت. وعلى هذا الأساس استأذنكم للانصراف. أرجوكِ، يا سيدتي، أن تطوقي جيدي بمعروفك وتدخلي

الى قلبي السرور والاطمئنان بأن تتعهدي لي بتربية طفلتي.

ديونيسا : أنا أيضاً لي ابنة. ولن تكون أعز عليّ من طفلتك، يا مولاي.

بيريكليس : أرجوك أن تقبلي أخلص شكري على ما توليننى اياه من جميلك.

كليون : سنرافق سموّك الى شاطئ البحر. ثم ننصرف الى اللهو برعاية اله البحر نبتون فنتمتع بصفاء السماء وزرقتها ونتنشق الهواء العليل.

بيريكليس : أقبل عرضك بكل امتنان. تعالي أيتها السيدة العزيزة. أرجوك أن لا تسكبي دموعك تعالي أيتها السيدة الفاضلة. لا تبكي يا ليكوريدا، لا تبكي. إهتمّي بسيدتك الصغيرة. انها الأوْلى بحنوّك وعنايتك. وأنت تعالَ معي، يا مولاي. (يخرجان).

المشهد الرابع

في منزل سيريمون بأفسس

(يدخل سيريمون وثايسا).

سيريمون (وهو يسلّم ثايسا رسالة) : وُجدت هذه الرسالة بصحبة بعض المجوهرات معك في النعش، وهي طبعاً تحت تصرفك.

هل تعرفين هذه الكتابة؟

ثايسا : هذا خط زوجي. فقد ركبت البحر، كما أتذكر جيداً، ليلة مخاضي اذ كنت على وشك الوضع. فهل وضعت هناك طفلتي أم لا؟ بحق الآلهة المقدسة لا أستطيع أن أجزم. لكن بما أني لن أتمكن من رؤية الملك بيريكليس زوجي ومولاي الشرعي، لا أريد أن أكون كاهنة الإلهة فيستا، وأمتنع طوال أيامي عن جميع المسرات.

سيريمون : اذا كنت فعلاً مصممة على التقيّد بما تقولين، فان معبد ديانا غير بعيد من هذا المكان حيث يسعك أن تمكثي حتى آخر أيام حياتك. فضلاً عن ذلك اذا أعجبتك الاقامة هناك ستظل ابنة أخي بمعيتك.

ثايسا : ولكي أكافئك ليس لدي سوى شكري الجزيل. غير أن نيتي الحسنة كبيرة بقدر ما تبدو هديتي صغيرة.

الفصل الرابع

مقدمة

(يدخل غوير).

غوير : تصوروا بيريكليس في صور
يستقبله رعاياه باجلال وقور
وزوجته الحزينة باقية في أفسس
لمعبد ديانا، سني عمرها تكرّس.
والآن حوّلوا أفكاركم نحو مارينا
التي دمعت ليُتْمها ومآسيها مآقينا.
وسنشاهدها عمّا قريب في طرسوس
حيث أعطاها كليون في الأدب والموسيقى الدروس
فألمّت بجميع شؤون التربية ومداراة الظروف
وأصبحت قبلة الأنظار ومجمل العلم لديها معروف.
لكن، يا للأسف لم يرحمها الحسد الذي يشوّه
في معظم الأحيان كل الفضائل ويموّه.
اذ حصلت منها مارينا على أوفر نصيب
وكادت تذهب ضحية الغدر الغريب

لأن لكليون ابنة سيطر عليها شيطان الحسد
فشبّت وأينعت للمغازلة ومداعبة الجسد
وكان اسمها فيلوتان، وكانت تريد أن تظلّ
دائماً بمعية مارينا لتحبك الخيوط ولا تملّ
من تزيين أصابعها الطويلة الناعمة
البيضاء كالثلج، وعلى الخياطة قائمة
بالقطب البديعة، ثم تنشد بمرافقة العود
الذي. يهدهد الأحاسيس دوماً في دنيا الوعود،
أو تكتب بريشة رشيقة تشيد بالإلهة ديانا
فيما كانت فيلوتان تنافس مواهب مارينا
الحميدة الأوصاف، وكالغراب الأسود تحاول
مضاهاة حمام بافوس بالطهر الناصع وتطاول
سموّ مارينا التي تحظى بثناء عارفيها
فتضمر لها الشر وتقلّب عليها مبغضيها.
إذْ شاركت والدة الحاسدة ابنتها فنقمت
على الصبية الرائعة، وأحد المجرمين كلّفت
بقتلها للتخلّص منها وطمس حسناتها
بينما الأبنة الشريرة لا تملك إلا سيئاتها.
في هذه الأثناء قضت ليكوريدا نحبها بغتة
وأوشكت ديونيسا أن تسدّد لغريمتها طعنة
نجلاء تجعلها عن موكب الحياة غائبة.
لذا أنا أوصيكم وقلبي حزين

بدون أن أقوى على كبت الأنين،
أن تعلموا بأن ديونيسا شاركت القاتل ليونين.

(يخرج).

المشهد الأول

على الشاطئ الرملي في طرسوس

(تدخل ديونيسا وليونين).

ديونيسا : تذكّر انك أقسمت اليمين على تنفيذ المطلوب منك. ستسدّد ضربتك القاضية ولا أحد يدري بما جرى في هذا الصدد. أنت لا تقوى على المقاومة فما عليك إلا أن تزعن فوراً، وهذا سيعود عليك بالنفع الوافر. ولا بد من أن تُسكت ضميرك، إذا استيقظ في صدرك الميل الجارف اليها، بدون أن تنصت الى صوت المروءة والشهامة، ولا تدع استعطاف النساء يحرّك بين ضلوعك شعور الرحمة، وهن منها براء. لا بل كن جندياً شديد البأس في سبيل نيل مأربك منها.

ليونين : سأفعل ما تريدين، مع أنها مخلوقة رقيقة وديعة.

ديونيسا : لذلك يجدر بها أن تمضي وتنذر نفسها للآلهة. وها هيذا آتية وهي تبكي مرضعها المسنّة المتوفّاة. فهل أنت

مصمّم فعلاً على تنفيذ ما اتفقنا عليه؟

(تدخل مارينا حاملة سلة زهور).

مارينا : بكل تأكيد، أنا عازمة على انتزاع حلية تالوس من بين يديها لانثرها كالورود على مرجك الأخضر، وبينها الزهور الصفراء والزرقاء والأرجوانية والبنفسجية والحمراء التي تزيّن ضريحها طوال أيام الصيف. لكن، يا للأسف الشديد أنا ابنة مسكينة ولدت أثناء هبوب عاصفة هوجاء قضت على والدتي غدراً. فأمسى هذا العالم في نظري كأنه دوّامة مدوّخة تحجزني وتبعدني عن أصدقائي.

ديونيسا : لكني لا أرى، يا مارينا، كيف تحسبين نفسك وحيدة. ولماذا لم تصحبك ابنتي؟ لا تزيدي الهمّ على قلبك المكلوم، وتغرقيني معك هكذا في لجة الحزن والكآبة. أولست أنا مرضعك؟ مولاتي، لماذا يكفهرّ جبينك لمثل هذا الألم العابر؟ هيا، هيا اعطيني حبال زهورك لأرميها على سطح البحر الذي سيبعثرها. تعالي وتنزّهي قليلاً برفقة ليونين. فالنسيم منعش ببرودته اللطيفة التي تحيي الأمل في الصدور هيا يا ليونين تأبطي ذراعها وتنزها معاً بعض الوقت.

مارينا : لا، لا أريد أن أحرمك من أُنس خادمتك.

ديونيسا : هيا، هيا إذهبا. ان ما أحفظه من المودة الصادقة لوالدك ولك أيضاً ليست شعوراً سطحياً. فاننا سنشاهده كل

يوم هنا. وحالما يأتي ويراكِ هكذا كئيبة سيجن جنونه لأنك لا تستحقين إلا السعادة والهناء. فلا تدعيه يأسف على ما تحمّله من عناء السفر أثناء قدومه الينا. وأنا أخشى أن يلومني ويلوم سيدي على ما أنت غائصة فيه من الأسى. مع أننا لا نألوا جهداً كما تعلمين في ادخال الطمأنينة والفرح على قلبك، ولا ندخر وسعاً في سبيل راحتك ورفاهك. هيا، أرجوك أن تتنزهي قليلاً وتروّحي عن نفسك. حافظي على ما يليق بك من معالم النضارة والبهجة التي نتمناها دوماً لشخصك المحبوب. ومن ناحيتي، لا تقلقي عليّ فأنا استطيع أن أعود وحدي.

مارينا : حسناً. أنا ذاهبة لأتنزه، مع اني لست راغبة في ذلك مطلقاً.

ديونيسا : أنا أعلم ان هذا يفيدك. امضي وتنزهي مدة نصف ساعة من الزمان، يا ليونين، وتذكري ما قلته لك.

ليونين : إطمئني يا سيدتي.

ديونيسا : ها أنا أترككما برهة. امشيا بتمهّل، ولا تتعبا. وإلا اضطررت الى التدخل لتبديل وضعك، يا مارينا، اذا لم تقلعي عن حزنك.

مارينا : أشكرك، يا سيدتي الفاضلة على اهتمامك بي. (تخرج ديونيسا). هل أخذت رياح الشمال تهبّ علينا؟

ليونين : أين رياح الشمال؟

مارينا : عندما وُلدت كانت الرياح تعصف من الشمال.

ليونين : حقاً؟

مارينا : أخبرتني مرضعي ان والدي لم يكن خائفاً. لأنه كان يهتف : « أيها البحّارة الشجعان، تنشطوا ». وهو يعالج الأشرعة التي كانت عالقة في الصاري. فلطمته موجة قوية كادت تحطّم متن السفينة وتقذف بأحد الملاّحين الى البحر الهائج. فصاح أبي : « أتريد أن تأخذني؟ » ثم ارتمى بمهارة على أرض السفينة. وتبعه باقي الرجال في الارتماء أرضاً. فصفر القبطان وهتف مساعده زعراً وعمّت الفوضى.

ليونين : متى حدث ذلك؟

مارينا : ساعة وُلدتُ. ومنذ ذلك الحين، لم تعصف مثل تلك الرياح بعنف يضاهي ما عاناه أبي آنذاك من شدّتها.

ليونين : هيا، أتلي صلاتك بسرعة.

مارينا : ماذا تقصدين بهذا القول؟

ليونين : اذا كنت بحاجة الى فترة من الوقت للصلاة، لا مانع لديّ، فأنا أمنحك المدة اللازمة. لكن، لا تطيلي ابتهالاتك. لأن آذان الآلهة لا تطيق كثرة الالحاح، وقد أقسمت أنا على الاستعجال أثناء القيام بعملي.

مارينا : هل تنوين أن ترهقيني بما تفرضينه عليّ من شدّة التعب، فعلى ما أتذكر، لم أقدم بحياتي على ايذاء أحد، ولم أسبب خسارة لأي مخلوق. صدقيني أني لم أقتل في حياتي فأرة، ولم أدُسْ دودة عن قصد، بل بكيت عندما

حدث ذلك عرضاً. فأية إهانة سبّبت؟ وما فائدة موتي بالنسبة اليها؟ وكيف يمكن أن يشكل وجودي خطراً عليها؟

ليونين : مهمّتي أن أنفذ ما أمرت به، لا أن أناقشه أو أفنّده.

مارينا : آمل أن لا تُقْدمي على تنفيذه بأية حجة كانت. يظهر عليك أنك صالحة وملامحك توحي بطيبة قلبك وبرقّة شعورك. وقد شاهدتك مؤخراً تتلقّين الضربة بينما كنت تقفين بين شخصين متشاجرين وتحاولين ابعاد أحدهما عن خصمه. أقسم لك بأن هذا شرف عظيم يتوّج مروءتك. فهل يسعك أن تتدخلي فيما بيننا وتنقذي حياتي أنا المسكينة الضعيفة في وحدتي.

(بينما كانت مارينا تتوسل، دخل بعض القراصنة).

القرصان الأول : قف مكانك، أيها الشقي.

القرصان الثاني : هذه مكيدة سافلة.

القرصان الثالث : سأقاسمك حصتي مناصفة، يا صاح. هيا، خذها حالاً الى السفينة.

(يخرج القراصنة وبصحبتهم مارينا).

(تدخل ليونين).

ليونين : هؤلاء القراصنة يخضعون لرئيسهم فلْديس، وقد احتجزوا مارينا. يا للخسارة. اذ لا أمل في عودتها. اقسم بأنها

الآن ميتة، وقد أُلقيتْ الى البحر. لكن سأرى. أظنهم سيكتفون باشباع نهمهم من كنوزها بدون أن يأخذوها الى السفينة. فاذا بقيت على قيد الحياة بعد اغتصابها، سأقتلها أنا بيدي.

(تخرج).

المشهد الثاني

في أحد مواخير مدينة ميتيلان.

(يدخل القوّاد والقوّادة وبولْت).

القوّاد : يا بولْت.

بولت : نعم، يا سيدي.

القوّاد : إذهب وتفقّد السوق بتدقيق. لأن ميتيلان ملأى بأهل الفسق والمجون، وقد خسرنا مبالغ طائلة هذا الصيف من جراء نقص بائعات اللذة.

القوّادة : لم يسبق لنا ان احتجنا كالآن الى هؤلاء العاهرات. لم يكن لدينا سوى ثلاث بنات مسكينات. ولم يسعهنّ أن يشتغلن فوق طاقتهنّ، وهن في الوقت الحاضر مرهقات لكثرة ما مارسن مهنتهن.

القوّاد : علينا اذاً أن نجلب فتيات نضرات مهما كلّف الأمر.

حقاً اذا لم يعملن بضمير حيّ، لا يسعنا أن نحقق ما نحلم به من الأرباح.

القوّادة : هذا صحيح. إذ لا فائدة من تربية اللقطاء القاصرين الذين حويت منهم أحد عشر.

بولت : نعم أحد عشر. ثم اطلقت سبيلهم. هل حقاً يترتّب عليّ أن أتفقّد السوق.

القوّادة : وكيف نؤمّن سير العمل على هذا النحو؟ ان البضاعة الموجودة في حوزتنا إذا هبّت عليها رياح قوية بعض الشيء لا تترك منها إلا الحطام. فان الترنسلفاني الذي كان ينام مع الهزيلة النحيلة كالقصب مات من زمن بعيد.

بولت : والتي سببت له الوفاة لا تنفع شروى نقير. لا بد اذاً من أن أذهب الى السوق.

القوّاد : علينا أن نوفّر ثلاثة أو أربعة آلاف درهم، أي رأس مال لا بأس به لنعيش بأمان حين نبلغ سن التقاعد.

القوّادة : لماذا ننسحب؟ وهل من العار أن يملك الانسان بعض المال عندما يشيخ؟

القوّاد : لا تنسي أننا لن نغنم الاعتبار بسهولة مثل الربح الذي نحققه بنسبة ما نتعرض له من المخاطر. بالنتيجة، اذا تمكّنا - في شبابنا من جمع ثروة صغيرة يتسنّى لنا أن نرتاح في أواخر عمرنا ونعيش في بحبوحة مطمئنين. ثم ان مخالفتنا مشيئة الآلهة الفاضلة هي حجة أوْلى لانسحابنا من العمل عندما يحين الأوان.

القوّادة : لا بأس علينا. فسوانا يخطئ مثلنا.
القوّاد : مثلنا، بل قل أكثر منا، نحن الخطأة المساكين، لأن ما نقوم به ليس وظيفة أو مهنة. ها هو بولت قادم.

(يدخل القراصنة وبولت يجرّ مارينا).

بولت (لمارينا) : تقدّمي، يا هذه. (للقراصنة) يا سادة، تقولون انها عذراء؟
القرصان الأول : نعم يا سيدي. ونحن لا نشك أبداً بهذه الحقيقة.
بولت (للقواد) : يا معلّم، اضطررت الى الذهاب بعيداً في عروضي لكي أحصل على القطعة التي تراها ماثلة أمامك. فإن وافقتك كان به، وإلا خسرت أنا العربون الذي دفعته.
القوّاد : ما هي حسّناتها، يا بولْت؟
بولت : محياها جذاب كما ترى، وحديثها طليّ وثيابها فاخرة. بالاختصار، انها تجمع كل الصفات اللازمة لكي لا يرفضها أحد من الزبائن.
القوّادة : وما هو ثمنها، يا بولت؟
بولت : الف دينار. ولا سبيل الى تخفيض درهم واحد منها.
القوّاد : حسن. اتبعوني، يا سادة، لتقبضوا المبلغ على الفور. أيتها المرأة، ادخليها وأفهميها ما عليها أن تفعل كي لا ترتبك أثناء ادائها الوظيفة المطلوبة منها.

(يخرج القواد ويتبعه القراصنة).

القوّادة : خذ علماً، يا بولت، بأوصافها وبلون عينيها وشعرها وبشرتها وطول قامتها وعدد سني عمرها، ولا سيما بأنها لا تزال تحافظ على بكارتها. وأعلن أن من يدفع أكثر من سواه تصبح من نصيبه أوّلاً. لأن مضاجعتها وهي عذراء باهظة الثمن كما هو معلوم، مهما كان مستوى راغبها. افعل ما آمرك به.

بولت : التنفيذ يتمّ فيما بعد.

(يخرج).

مارينا : وا أسفاه. لماذا ترددت ليونين وتباطأت؟ كان عليها أن تتصرف بدون أن تتكلم. لماذا لم يرمني هؤلاء القراصنة البرابرة من السفينة وهم يبحثون عن أمي؟

القوّادة : لماذا تندبين سوء حظك، أيتها الفتاة الحسناء؟

مارينا : لأنني فعلاً جميلة.

القوّادة : هيّا، ارضي بنصيبك. فالآلهة هم الذين خصّوك بهذا الحسن.

مارينا : أنا لا ألومهم.

القوّادة : اطمئني لأنك وقعت بين يديّ. فعليك أن تعيشي.

مارينا : ان شقائي لا مزيد عليه بسبب نجاتي ممن كانوا مزمعين أن يزهقوا روحي.

القوّادة : عليك أن تعيشي راضية مسرورة.

مارينا : لا، لا أريد.

القوّادة : اذا لم تسايري الواقع، فاتك وجهاء من جميع الأصناف. أولاً عليك أن تأخذي قسطك من الملذات. ثم تتعرفي الى أمزجة سائر الرجال. ماذا دهاك؟ هل سددتِ أذنيك كي لا تسمعي كلامي.

مارينا : وهل أنت امرأة تتحلّين بالانسانية؟

القوّادة : ماذا تريدين أن أكون إن لم أكن امرأة؟

مارينا : كوني امرأة شريفة شهمة، أو لا تكوني من جنس النساء.

القوّادة : لا بد من تأديبك بالسياط، أيتها الحمقاء الوقحة. أرى أنك ستضطرينني الى معاملتك بقسوة لنصل بك الى المرام. أنت معتادة على الغنج والدلال. غير أنك الآن ما عليك إلا أن تحني رأسك طائعة وتمتثلي الى مشيئتي.

مارينا : حمتني منك الآلهة.

القوّادة : إن شاءت الآلهة، حماك الناس من الأذى. هناك رجال على أتمّ الاستعداد ليواسوكِ ويطعموك ويدلوك على الطريق... ها قد عاد بولت.

(يدخل بولت).

ماذا فعلت، يا عزيزي؟ هل أعلنت عنها في السوق؟

بولت : لقد أعلنت حتى عن عدد شعر رأسها، ووصفتها كما يليق بها.

القوّادة : قل لي كيف وجدت استعداد الرجال، لا سيما في ما يخصّ الصبايا.

بولت : كانوا يستمعون اليّ كما لو كانوا يستمعون الى وصية والدهم. كان هناك اسباني سال لعابه عندما سمع وصفي، وابتهج الى حد أنه ذهب توًّا الى السرير.
ستحظى بزبائن من جميع الفئات. ونحن واثقون بأننا نستطيع أن نحتكرهم كلهم بفضل هذه الفتاة.

القوّادة (لمارينا):أرجوك أن تقتربي قليلاً. كوني على يقين بأنك أمّنت الآن ثراءك وسعادتك. اصغي اليّ جيداً. عليك أن تظهري اليوم بمظهر من لا يكره الرجال الذين يقبلون عليك راضين، وأن لا تحتقري الربح حيث يسعك أن تحققي أوفر المكاسب. ألاّ ابكي على الحياة التي تعيشينها، لأنها تستدعي شفقة عشاقك، ونادراً ما توحي اليهم بالتفكير بوضعك المأساوي. وأنا أعلم جيداً بأن الرأي السديد لا يهيّئ لك أفضل سبل الازدهار.

مارينا : أنا لا أفهم ما تقولين.

بولت : يا سيدتي، عليك أن تدفعيها الى العمل دفعاً وتنتزعي حمرة الحياء من هذه الخدود تدريجياً بتحريضها على ممارسة المهنة وبأقرب وقت ممكن.

القوّادة : هذا لعمري ما يجب اللجوء اليه. لأن المرأة حتى المتزوجة لا تساير في هذا المضمار بدون حياء في بادئ الأمر حتى تبلغ بعد حين آخر حدود المسايرة.

بولت : نعم، ان بعض النساء يغلب عليهن الحياء، وغيرهن لا

يخجلن. ثم لا تنسي اني أنا الذي ساومت على هذه القطعة النادرة...

القوّادة : ولذلك يحق لك أن تأخذ نصيبك من محاسنها الشهية.

بولت : هذا من حقّي طبعاً.

القوّادة : ومن ينكره عليك؟ تعال، أيها الشاب الظريف، فأنا أحب زي ملابسك.

بولت : حتى هذه الميزة لن تغيّر تصرفها.

القوّادة : انشر خبر وجودها عندنا، يا بولت، في كل أرجاء المدينة. واعلن عن الضيفة الجديدة التي حلّت في دارنا. فلن نخسر إن أعددناها للممارسات المرغوبة. وحين تساعدنا الظروف على ترويض هذا الغزال الشارد وتدريبه، ستعترف هي نفسها لا سيما بفضلك أنت عليها. اذهب اذاً وأطنب بامتداح مزاياها كتحفة رائعة غنمناها وأعددناها لتجني الكثير من الفوائد.

بولت : اطمئني، يا سيدتي. فالرعد لن يهزّ سمك الحنكليس أكثر من الاطراء الذي سأوجّهه الى المعجبين بهذه الحسناء وايقاظ شهوة المتهتكين الذين سأجلب عدداً لا بأس به منهم الى هنا منذ هذا المساء.

القوادة (لمارينا) : تقدّمي واتبعيني.

مارينا : حتى أن هددتني بنيران محرقة وسكاكين مرهفة الحدّ ومياهٍ عميقة القعر سأحافظ على عقدة بكارتي ولن أحلّها أبداً. فيا أيتها الإلهة ديانا كوني بعوني لأتشبث بتصميمي

على أن لا أحيد عن السبيل القويم.

القوادة : ما شأن ديانا في موضوعنا هذا؟ والآن، ألا تريدين أن ترافقيني؟

(تخرجان).

المشهد الثالث

في قصر كليون بطرسوس

(يدخل كليون وديونيسا)

ديونيسا : ما هذا؟ هل جننت؟ أيجوز تفكيك ما هو قائم جاهز؟

كليون : يا ديونيسا، لم تشهد الشمس ولا القمر منظراً أفظع من جريمة القتل المتعمد هذه.

ديونيسا : أظنك ستعود الى تفكير طفولتك البريئة.

كليون : عندما سأصبح السيد المطلق في هذا الكون الفسيح، سأتخلّى عنه كي أعيد صنعه لأنه غير كامل. فالفرق شاسع بين هذه الفتاة النبيلة وعراقة مولدها وهو أقل سمواً من فضيلتها وإن كانت تنتسب الى أرفع تاج على وجه الأرض، وبين هذه الشقية ليونين التي سجنتها. فلوْ ساندتها أنتِ في صيانة عفّتها لجاء عملك هذ الشهم حتماً أكمل صلاحاً من جميع أعمالك المبرورة السابقة.

وبماذا تجيبين الملك بيريكليس غداً حين يأتي للمطالبة بابنته كوديعة مقدّسة ائتمنك عليها نظراً الى ما يعهده فيك من الأمانة والشهامة؟

ديونيسا : أقول له أنها ماتت. لأن المرضع لا يسعها أن تصون مصير طفلته وتحفظها من غدرات الزمان. أجل، أقول له أنها ماتت ليلاً. ومن يتسنى له أن يكذّبني؟ إلاّ اذا كنت أنتَ متأهباً لارتكاب هذه الدناءة، وهتفتَ للاستئثار بهذا الشرف الرفيع : « انها ماتت في كمين غامض ».

كليون : تابعي كلامك. هيا اعترفي بأن هذه الجريمة النكراء هي أبغض كل الذنوب في نظر الآلهة.

ديونيسا : نعم. إفترض أن الطيور السابحة في سماء طرسوس ستمضي الى بيريكليس يوماً وتميط له اللثام عن الحقيقة بكاملها. ان الخجل يجتاحني كلما فكّرت باصالة منبتك وجبانة مقصدك هذا.

كليون : ان من يقبل بمثل هذه الأفعال الخسيسة، لا أقول أنه يغض الطرف عنها أو يوافق عليها، بل أنه يحيد كليًّا عن طريق الأمانة والمروءة.

ديونيسا : لنفترض أن ما تصرّح به صحيح. على كل حال، لا أحد يعلم ولا أنت أيضاً، كيف ماتت تلك الابنة. ثم بعد غياب ليونين لا سبيل لأحد أن يدري بما حدث. لقد كانت تحقّر ابنتي وتسعى لهدم سعادتها. لم يكن أحد يُلقي نظرة على فيلوتان، لأن جميع العيون كانت

شاخصة الى مارينا، بينما كانت ابنتي مهملة تعامل كفتاة قذرة لا تستحق أيّ اهتمام. وهذا ما كان يمزّق قلبي تمزيقاً. فهل تجد ذلك مني غير طبيعي، أنت الذي لم تحبّ يوماً ابنتك؟ أما أنا فأهنّئ نفسي كأني قمت بواجب مقدس نحو ابنتنا الوحيدة.

كليون : أسأل السماء أن تصفح عنك.

ديونيسا : أما بيريكليس فما عساه يقول؟ لقد بكينا خلف نعشها وحتى الآن نحن نلبس ثياب الحداد حزناً عليها. ويكاد صرح ضريحها يكتمل بناؤه مع العلم أننا سنزيّن رمسها بحروف من ذهب برّاق للتعبير عما كانت تتحلى به من الصفات الحميدة والمآثر الطيبة التي قلّ أن تجتمع في شخص واحد. وقد شيّدنا هذا الضريح على نفقتنا الخاصة إحياءً لذكراها.

كليون : أنت تشبهين جنّية قبيحة تخفي ملامحها الكريهة خلف قناع ملائكي. أجل أنت حيّة رقطاء على أهبة أن تنفث سمومها القاتلة في أية لحظة.

ديونيسا : أما أنت فكالكافر الذي يهين الآلهة التي ستعاقبه بقارص برد الشتاء. مع ذلك أنا واثقة بأنك ستتصرف حسبما أوصيتك به.

(يخرجان).

المشهد الرابع

يدخل غوير ويدنو من قبر مارينا

غوير : هكذا نقضي الأوقات ونختصر أطول المسافات. نجتاز البحار ونحن نركب قشرة الجوز. ولكي نمتلك شيئاً ما علينا إلّا أن نتمنى ذلك من أعماق قلوبنا ونحن ننوي السفر لكي نلهي مخيلتنا متنقّلين من ضاحية الى أخرى ومن منطقة الى غيرها. ونتكلّم لغة واحدة في شتى البلدان حيث تبدو مسارحنا صاخبة الحركة. اسمحوا لي بأن أنوّر أذهانكم حين أظهر لكم من حين الى آخر وأعلّمكم مقاطع من تاريخنا ونبذات من سيرة بيريكليس بصحبة السادة الكرام والفرسان البواسل وهو يجتاز مرّة ثانية جملة بحار مرهقة ليشاهد ابنته التي رفعها هيليكانوس الى أعلى المراتب وأسماها. فأقام هناك ليحكم بالعدل. لاحظوا أن هيليكانوس المسنّ يتبع بيريكليس الى أن ساقت الأشرعة الطيّعة والرياح المؤاتية هذا الملك الحكيم الى ميناء طرسوس حيث أوحى اليه فكره السديد بأن يوجّه سفينته الى حيث تواكبها أفكاركم الحبيبة. وقد جاء يبحث عن ابنته التي وافاها الأجل. فانظروا الى القلة من الأصحاب التي تتأثر بهذه الحادثة كأنها أرواح وأشباح تتلمّس من آذانكم أن تتقبّل ما تراه عيونكم.

(ايماءات يقوم بها الأشخاص المذكورون أدناه).

(يدخل بيريكليس من باب ترافقه حاشيته، ثم كليون وديونيسا من باب آخر. كليون يري بيريكليس ضريح مارينا. فيتفجّع أبوها عليها ويرتدي المسح ويذهب وهو غارق في بحر من الأحزان. عندئذٍ ينسحب كليون وتتبعه ديونيسا).

غوير : أنظروا كيف تستأثر المظاهر الكاذبة
بأبسط الأذهان وتبدو بالعقول متلاعبة
معتبرة هذه المشاعر المستعارة الغزيرة
كآلام حقيقية بالاحترام والمواساة جديرة.
فتسحق قلب بيريكليس خيبة مريرة
وتنهمر من مآقيه المقرّحة دموع سخينة
لذا يغادر طرسوس على متن السفينة
ويقسم بأن لا يغسل بعد الآن وجهه
وأن لا يقص شعر رأسه أو يحلق لحيته
بل يرتدي المسح ويقبع قرب الشراع
فتدهمه العاصفة وتصمّ منه الأسماع
وتلطمه الأمواج، لكنه يلجأ الى بعيد الأصقاع.
واذا وددتم أن تفهموا كنه مرامي
فاعلموا بأن المقطع التالي يشرح كلامي
ويفضح ما اضمرته ديونيسا اللئيمة لمارينا أمامي.

(يقرأ الكتابة التالية الموجودة على الضريح).

« هنا ترقد أبهى الخلائق وديعة ورعة

بين سائر الورى وقد ذَوَت كزهرة نضرة
هي من صور وابنة ملك ذي رأي مصيب
أختطفتها المنيّة وغيّبها رمس كئيب.
كان اسمها مارينا، وعند ولادتها ثارت
الإلهة تاتيس المتشامخة وعليها جارت
وسدّت في وجهها دروب السرور والأمان
وأبت إلا أن تجعلها حبيسة الأحزان
فأسرتها تاتيس عند صخور الشاطئ
وهي غضبى وقد شاءت لها مصير الخاطئ
معتمدة كل ما ينتمي الى الدناءة الخسيسة
نظير التمليق والنفاق وحبك الدسيسة.
فصدّق بيريكليس ما أُشيع عن موت ابنته
ولشدة أساه هجر الدنيا واعتكف في بيته
وكتم سرّ اختفائه لا يرجو انفراجاً
حتى حالفه الحظ وقارب الفجر انبلاجاً.
وها هو مسرحنا يبيّن كم قاست ابنته وعانت
من الشقاء الأليم وكيف عفّتها صانت
رغم سوء المعاملة والجور والرياء
معتصمة بطول الأناة وحسن التصرف والذكاء
فصبراً، يا سادتي، لننْقلكم بالخيال الى ميتيلان
حيث تمّت هذه الفصول في المكان والزمان.

(يخرج).

المشهد الخامس

أمام أحد مواخير مدينة ميتيلان

(يدخل وجيهان خارجان من أحد المواخير).

الوجيه الأول : هل سمعت قصة أغرب من الخيال؟
الوجيه الثاني : كلا. لم أُطّلع أبداً على مسألة مماثلة في منزل كهذا.
الوجيه الأول : غير اني لا أنتظر أن أتلقّى أية موعظة هنا. فهل حلمت أنت يوماً بذلك؟
الوجيه الثاني : كلا ثم كلا. أنا لم أعد من روّاد المواخير. ما رأيك في ذهابنا لسماع الأناشيد في المعبد؟
الوجيه الأول : أنا مستعد من الآن وصاعداً لاداء أي عمل فضيل. وها أنا ذا أنبذ كل شهوة دنيئة تراودني.

(يخرجان).

المشهد السادس

وسط أحد المواخير.

(يدخل القوّاد والقوّادة وبولْت).

القوّاد : كم تمنيت أن لا تكون هذه المرأة أتت الينا.
القوادة : بئس سلوك هذه الفتاة الحمقاء. انها قادرة على تجميد

اله الخصب برياب، وعلى ابادة جبل بكامله. فعلينا إمّا أن نحرّض على اغتصابها أو أن نتخلّص منها ونرتاح. اذ لا بد لها من القيام بعملها وارضاء الزبائن وتأمين منفعتنا ضمن نطاق مهنتنا، والانقطاع عن إقامة العراقيل والتعقيدات متذرعة بحجج واهية واعذار غبية، واللجوء الى شعائر التقوى والصلاة المتواصة. وبذلك تجعل من الشيطان متزمّتاً اذا سوّلت له نفسه أن يسرق منها قبلة واحدة.

بولت : لعمري، لا حلّ إلا بأن أغتصبها أنا بنفسي. وإلا أبعدتْ عنا جميع فرساننا، وحوّلتنا نحن أرباب التهتك والمجون الى رهبان متنسّكين.

القوّاد : أتمنى أن يحرمها المرض رونق بشرتها ويخطف احمرار خديها.

القوادة : كي نتخلّص منها، لعمري، ليس أجدى من مرض تسري اليها عدواه وينقلها الى عالم الأموات. ها هوذا السيد ليزيماك المتنكّر مقبل.

بولت : سيتوافد علينا موكب من النبلاء والأنذال على السواء، اذا ما سايرت هذه المرأة الهزيلة المتعنّة توجيهاتناالمثمرة.

(يدخل ليزيماك).

ليزيماك : أخبروني كم عذراء لديكم الآن؟

القوادة : لتباركك الآلهة أيها المولى النبيل.

بولت : يسرني أن أرى سيادتك بصحة جيدة.

ليزيماك : لا بد من أن تكون اليوم مسروراً. فالأجدر بك أن تكون أثناء ممارستك عملك المضني معافى ثابت القدمين. هل لديك ما يجعل رجلاً مثلي يهزأ من نصح الأطباء ومداخلة الجراحين.

القوادة : لدينا واحدة هنا رائعة للغاية، يا مولاي... لو شاءت... لأننا لم نبصر لها شبيهة في كل أرجاء ميتيلان.

ليزيماك : تقولين لو شاءت أن تفعل ما يتمّ في العتمة؟

القوادة : سيادتك تعلم ما فيه الكفاية، وبالطبع تدرك ما أقصد أن أقول.

ليزيماك : حسناً. ناديها لأراها.

بولت : من ناحية اللحم والشحم، والبياض، والاحمرار، سترى وردة نضرة فوّاحة العبير. وستكون وردة زاهية فعلاً لو شاءت أن...

ليزيماك : ماذا قلت؟ أرجوك أن تعيد كلماتك...

بولت : يا سيدي الكريم، أنا أعرف كيف أكون متواضعاً.

ليزيماك : التواضع يزيد شهرة القوّاد قيمة. كما يُكسب عدداً من الفتيات الساذجات صفات العفيفات المتحصّنات.

(تدخل مارينا).

القوادة : ها هيذا قد جاءت، منتصبة على ساقيها... أؤكد لك، يا مولاي، ان أحداً لم يلمسها بعد. أولا تجد أنها من أروع الحسان؟

ليزيماك : ليس مستبعداً أن يتوصل المرء الى اخضاعها بعد معالجة طويلة في العتمة. طبعاً هذا يقتضي قليلاً من الصبر وبعض الوقت. حسناً، خذي هذا، ودعينا وحدنا.

القوادة : استحلف سيادتك أن تعذرني. سأقول كلمة أيضاً وأنسحب.

ليزيماك : عليكِ أن تستعجلي.

القوادة (على حدة، لمارينا) : أوّلاً أودّ أن ألْفت انتباهك الى أن هذا الرجل الشريف صاحب مقام رفيع.

مارينا (على حدة، للقوادة) : وأنا أريد أن ألقاه هكذا، لكي أتبيّن حقاً مدى ترفّعه.

القوادة (على حدة) : ثم، هو حاكم هذه المدينة وعلاوة على ذلك فضله كبير عليّ شخصيًّا.

مارينا (على حدة) : اذا كان حاكم هذه المدينة، طبعاً فضله كبير عليك. لكن الى أي حدّ يا ترى هو شريف؟ هذا ما لا أزال أجهله.

القوادة (على حدة) : هيا، هيا. لا تتمسكي بمظاهر العفّة. عليك أن تسايريه بلطف ولباقة كي يملأ جيوبك ذهباً وهّاجاً.

مارينا (على حدة) : سأقبل كرمه بكل امتنان، ولن أنكر جميله أبداً.

ليزيماك : هل انتهى الحديث؟

القوادة : يا مولاي، هي لا تعرف تماماً ما المطلوب منها. فأرجوك يا صاحب السيادة أن لا تبخل عليها بارشاداتك السديدة حسب ما يلائم مزاجك. هيّا بنا ولنتركهما معاً.

(يخرج القواد والقوادة وبولت).

ليزيماك : اذهبوا بأمان. والآن، يا عزيزتي، كم من الوقت قضيتِ في مهنتك هذه؟

مارينا : أية مهنة تعني؟

ليزيماك : المهنة التي لا يسعني أن أذكرها بدون أن أغيظك.

مارينا : أنا لا أرى في مهنتي أي حرج. فأرجوك أن تذكرها لي.

ليزيماك : كم من الوقت أمضيت الى الآن في وضعيتك هذه؟

مارينا : زمناً طويلاً، على ما أتذكّر.

ليزيماك : هل بدأت ممارستها وأنت حديثة السن جداً؟ هل أصبحتِ من بنات الهوى وأنت في الخامسة أو السادسة من عمرك؟

مارينا : بل قبل هذا العمر، اذا شئتَ أن تعتبرني اليوم احداهنّ.

ليزيماك : ان المنزل الذي تأوين اليه الآن يعتبرك من أهل المجون.

مارينا : هل تعلم أن هذا المنزل يضم ممن تعنيهم من النساء وتأتي اليه؟ لقد بلغني أنك من أشرف الرجال وأنك حاكم هذه المدينة.

ليزيماك : ماذا تقولين؟ وهل أنبأتك معلمتك بمنصبي الرفيع؟

مارينا : من هي معلمتي؟

ليزيماك : المرأة الداهية التي تزرع العار وتجني الفساد. وأنت عرفت مقامي وقدرتي ولا تزالين على تحفّظك تنتظرين أن أبادرك برغباتي الملحّة بوضوح أكثر مما فعلت؟ اني أحتجّ على تمنّعك أيتها الصبية المغرورة، وأملي

أن لا تتحدّي سلطتي وأن لا تستهدفي نظرتي اليك بغير عين المودّة والرضى. هيا دلّيني على حجرتك الخاصة. تعالي، تعالي.

مارينا : اذا كنتَ وُلدتَ في أحضان الشرف والشهامة، أرجوك أن تدعني ألمس ذلك في تصرفك أثناء هذه اللحظة بالذات. واذا كنت لا تملك من الشرف سوى الشهرة فقط، فأرجوك أن تؤيد حسن ظنّ من اختاروك واعتبروك كفئاً لهذا المقام الرفيع.

ليزيماك : ماذا تعنين بهذا القول المهين، ماذا؟ هلاّ تابعت وعظك ونصحك.

مارينا : أرجوك أن تعلم بأني عذراء، رغم حظي العاثر الذي رماني في هذه البؤرة الفاسقة. منذ وطأت قدمي هذا المكان، وجدتُ ان المرض هنا يباع ويشترى بثمن أغلى من الصحة والعافية. أتوسّل الى آلهة الخير أن تخلّصني من هذا المنزل الدنس الذي يصرّ أصحابه على تحويلي الى أحقر العصافير التي تطير في الهواء الطلق النقي.

ليزيماك : لم أتصوّر بتاتاً أنك تملكين موهبة النطق بمثل هذه الجودة والطلاقة. فإن جئت أنا الى هنا بفكرة سيئة، ها هو كلامك الفاضل قد أعادني الى جادة الصواب. خذي هذا الذهب مني، وثابري على السير قُدُماً في الطريق المستقيم الذي اخترتِ أن تسلكيه. وأنا أسأل

السماء أن تأخذ بيدك وتمنحك القوة على المقاومة والمثابرة.

ماربنا : حفظتك آلهة الخير، يا مولاي.

ليزيماك : لقد أتيت الى هنا بنيّة دنيئة لأني أعلم علم اليقين بأن أبواب هذا البيت ونوافذه تعبق فيها رائحة النتانة. الوداع، يا فتاتي، يا مثال الفضيلة الحصينة. ثقي بأني لا أشك بنبل تربيتك. فخذي، خذي هذا الذهب أيضاً. ولتنصبّ اللعنة على من يلوّث طهارتك، وليَمُت ميتة اللصوص وقطّاع الطرق. واذا بلغك اني تكلمت عنك، فاعلمي اني فقط بالثناء والاطراء أشيد بحسن سلوكك.

(عندما يغلق ليزيماك كيس نقوده يدخل بولت).

بولت : أستحلف سيادتك أن تعطيني قطعة واحدة فقط.

ليزيماك : ابتعد عني أيها السافل المنحطّ. لولا هذه الصبية العذراء التي تحمي منزلكم لانهال عليكم ركامه حتماً وسحقكم حطامه سحقاً. هيا ابتعد عني.

(يخرج).

بولت : ماذا أسمع؟ يتحتّم علينا من الآن وصاعداً أن نتصرف معك على غير هذا النحو. اذا كانت عفّتك اللعينة لا تساوي ثمن غداء في أرخص بلاد العالم، أتمنى أن ينعدم الصلاح تحت القبة الزرقاء، وأن أمسي من الخصيان، يا أيها الكلب المسعور. (لمارينا) تعالي.

مارينا : الى أين تريد أن تسوقني؟

بولت : لا بد لي من أن أغتصبك، وإلّا ستكونين من نصيب الجلّاد. تعالي. لن نرضى مطلقاً بأن تقاومي الوجهاء وتتسبّبي في انصرافهم عنا وقطع رزقنا. أقول لك هيا تعالي.

(تدخل القوادة).

القوادة : ماذا يجري هنا؟

بولت : ها نحن ننتقل من سيء الى اسوأ. وقد وجّهتْ الى السيد ليزيماك إرشاداً تقوياً غير معقول.

القوادة : يا لها من واعظة بارعة.

بولت : تجعل مهنتنا بذيئة منحطّة في نظر جميع الآلهة.

القوادة : لعمري، هي تستحق الشنق. فلنتخلّص منها الى الأبد.

بولت : هذا السيد تصرّف تجاهها كمولى كريم. فصدّته وجعلته أبرد من كرة الثلج، وهي لا تزال الى الآن تتلو صلواتها المتواصلة.

القوادة : خذها، يا بولت، وافعل بها ما يحلو لك. أكسر جليد عفّتها، وليّن هكذا عريكتها.

بولت : ولأنها كقطعة أرض حافلة بالأشواك، لا بد من فلاحتها.

مارينا : اسمعي، اسمعي جيداً، أيتها الآلهة ما تقول هذه المرأة الخبيثة.

القوادة : ها هي تستعوز بالسماء. لا بد من طرد هذه الساحرة

الدجّالة. كم أتمنى أن لا تكون قد دخلت هذا المنزل بتاتاً. من الآتي الى هنا؟ أرجو أن يحصدها الطاعون. لأن وجودها بيننا سيسبب هلاكنا. هي لا تريد أن تمرّ بما مرت قبلها سائر النساء. سنرى ما سيكون من أمرها. آه. ما أطيب شذى طهارة هذه اللعينة المكلّلة بتاج الطهارة وغار النقاوة.

(تخرج).

بولت : هيا، يا سيدتي الصغيرة. تعالي معي.

مارينا : ماذا تريد مني؟

بولت : أن أسلب منك الجوهرة التي تتمسكين بها وتحرمنا مكاسبنا.

مارينا : أرجوك أن تقول لي كلمة واحدة.

بولت : ما هي هذه الكلمة؟

مارينا : ماذا تتمنى لعدوّك؟

بولت : حسناً. أن يكون معلمي أو معلمتي.

مارينا : هذا وتلك هما أقلّ شقاءً وانحطاطاً منك. لأنهما أرفع منك في جميع المجالات. أنت تشغل مكاناً لا يحسدك عليه أبغض الشياطين في سابع دركات الجحيم. أنت وسيط أحقر متهتّك يأتي الى هذا المنزل باحثاً عن عاهرة خالعة العذار ما دامت وسادتك أقذر من القمامة، وتغذيتك من أرذل ما تبصقه الحناجر المريضة.

بولت : ماذا تريدين أن أفعل؟ أن أمضي الى الحرب وأن أصاب ببتر ساقي وأن لا يكون في جعبتي من مال أشتري به لنفسي ساقاً من خشب؟

مارينا : افعل ما يحلو لك، إلّا ما تصنعه الآن. نظّف أوساخك التي تنشر روائحها الكريهة كالمجرور في كل مكان عامّ. اشتغل كمساعد جلّاد. فكل هذه المهن الوضيعة تساوي أكثر مما تتعاطاه في الوقت الحاضر. لأن القرد إن تسنى له أن يتكلم عن مهنتك لأعلن أنها لا تليق بتفاهته. كم أتمنى أن تنقذني الآلهة بسلامة وأمان من هذا المكان الموبوء. خذ هذا الذهب مني. اذا كان معلمك يأمل أن يحقق ربحاً بواسطتي، فقل له انني أجيد الغناء والتطريز والخياطة والرقص وغيرها من المهارات والفنون التي لا أتبجّح وأدّعي اتقانها، وأنا أتعهّد بأن أعلّمها كلها. ولا شك في أن هذه المدينة العديدة السكان تضم تلميذات يرغبن في التحلّي بها.

بولت : هل حقاً أنت قادرة على تعليم كل ما ذكرته؟

مارينا : اذا لم أكن صادقة، عُدْ بي الى هنا وأفرض عليّ الدعارة بصحبة أحط الزبائن.

بولت : سأرى ما يمكنني أن أفعله في سبيلك. اذا تمكّنت من ايجاد عمل لك في هذه المجالات لن أتأخر أبداً عن اعلامك فوراً.

مارينا : بشرط أن أعمل لدى نساء شريفات.

بولت : لكن علاقاتي ليست بمثل هؤلاء السيدات. وبما أن معلمي ومعلمتي اشترياك، لا سبيل الى مغادرتك هذا المكان بدون موافقتهما. سأطلعهما على نيّتك، ولا أشكّ مطلقاً بأنهما سيرفضان طلبك. هيا بنا اذاً. لن أدّخر جهداً في عمل ما أستطيعه لأجلك. تعالي.

(يخرجان).

الفصل الخامس

مقدمة

(يدخل غوير).

غوير : هكذا تخلصت مارينا من ماخور الفجور
وانتقلت الى مسكن شريف بالفضيلة فخور
كما تقول القصة. وراحت تشدو كالعندليب
وترقص كأنها إلهة، روعة الفن تستجيب
وتنال اعجاب الجميع بمواهبها النادرة
لا سيما بإبرتها التي تشهد براعتها الماهرة
بما تبرزه الى عالم الوجود من أشكال وألوان
وما تستمدّه قريحتها من بدائع الأكوان
إذْ إبتدعت ورداً وكرزاً من خيوط الحرير
درّت عليها الربح الحلال والاحترام والتقدير
فأعطت منه للقوادة الخبيثة رداً لكيدها الوفير.
والآن لننتقل بأفكارنا الى والدها المسكين،
الذي تركناه في البحر يعاني المشقة والأنين
حين هبّت عليه العواصف وغاب عن الأنظار

اذ دفعته الرياح وأوصلته مشتت الأفكار
الى ابنته التي نجت واستقرّت بشوق حنون
.أثناء الاحتفال بذكرى إله البحر نبتون
فشاهد ليزيماك السفينة المتّجهة الى صور
وفي أعلى صاريها يرفرف علم أسود موتور
ومظاهر العزّ بادية على مركبه المزيّن
فأسرع لملاقاتنا وهو مزهّو بمكر مبطّن.
الا أعملوا مخيّلتكم الخصيبة بينما هو يتوهّم
ان زورق بيريكليس الحزين بالعزّ ينعم.
هنا تجري الأحداث وكل ما نتوق الى مرآه
سنستعرضه على خشبة المسرح ونتحرّاه.

المشهد الأول

على متن سفينة بيريكليس أمام مدينة ميتيلان، وعلى ظهرها توجد خيمة مغلقة وستار حيث ينام بيريكليس على سرير ليرتاح، والى جانب السفينة يتهادى مركب صغير.

(يدخل بحّاران، أحدهما يخصّ سفينة صور، والآخر يخص المركب. يتقدّم نحوهما هيليكانوس).

بحّار صور (لبحّار ميتيلان) : أين السيد هيليكانوس؟ هو بامكانه

أن يجيبكم. ها هوذا، يا سيدي، قد قدم من ميتيلان في مركب وبصحبته الحاكم ليزيماك الذي طلب أن يصعد الى السفينة. فماذا تريد أن أفعل؟

هيليكانوس : كما تشاء. أصعد بعض الوجهاء.

بحار صور: يا سادة، مولاي يناديكم.

(يدخل وجيهان).

الوجيه الأول : من الذي يناديه مولاك؟

هيليكانوس : أيها السادة. هناك رجل مرموق يودّ الصعود الى السفينة. أرجوكم أن تحسنوا استقباله.

(ينزل الوجيهان والملاّحان الى المركب).

بحار صور (لليزيماك) : يا سيدي، هذا هو الرجل الذي يلبي جميع طلباتك.

ليزيماك : السلام عليك، أيها المولى المبجّل. حفظتك الآلهة من كل مكروه.

هيليكانوس : وحفظتك أنت أيضاً. أتمنى لك عمراً طويلاً ونهاية كما أرجوها لنفسي.

ليزيماك : هذه أمنية حلوة بينما نحن على الشاطىء نحتفل بذكرى إله البحر نبتون، شاهدت هذه السفينة الفخمة تتمايل أمامنا على سطح البحر. وها أنا قد جئت اليكم لأرى من أين أنتم قادمون.

هيليكانوس : أولاً، يا سيدي، ما هي وظيفتك؟

ليزيماك : أنا حاكم هذه المدينة. فهل من خدمة أؤدّيها لكم؟

هيليكانوس : اذاً سفينتكم من صور، يا مولاي. وعلى متنها يسافر ملك، منذ ثلاثة أشهر لم يكلّم أي انسان، ولم يأكل إلا القليل، الأمر الذي زاده هزالاً وغمًّا.

ليزيماك : ما هي أسباب تعاسته؟

هيليكانوس : الشرح طويل، يا سيدي، اذا شئت أن أروي لك ما دهاه بالتفصيل. يكفيك أن تعلم أن شقاءه ناجم عن فقدانه ابنته الصغيرة وزوجته الحبيبة.

ليزيماك : أولا يتسنى لنا أن نشاهده؟

هيليكانوس : باستطاعتكم أن تروه. لكن لا فائدة ترجى من زيارتكم، لأنه لا يريد أن يكلّم أحداً.

ليزيماك : على كل حال، أرجوكم أن تلبوا رغبتي.

هيليكانوس : أنظر اليه، يا سيدي. (يُزاح ستار، ويُشاهد بيريكليس). كان رجلاً وسيماً للغاية قبل أن يهبط عليه ظلام اليأس ويقوده الى هذه الحالة المؤسفة.

ليزيماك : أحيّيك، أيها الملك المبجّل. حفظتك الآلهة. أكرر عليك التحية، يا صاحب الجلالة.

هيليكانوس : لا فائدة مما تقوله، لأنه لا يريد أن يتكلّم.

السيد الأول (لليزيماك) : لدينا في ميتيلان صبية تحسن مخاطبته، وتستطيع أن تنتزع منه بعض كلمات.

ليزيماك : هذه فكرة مناسبة، لا أشك في أنها بحلْو حديثها وعذوبة ألفاظها وسحر جاذبيّتها ستتمكن من إسماع أذنه الصمّاء

المغلقة اليوم في وجه كل المحاولات. انها تسرح الآن مع رفيقاتها العذارى في أطراف الغابة المجاورة الممتدة على هذه الجزيرة.

(يكلّم بصوت خافت أحد أفراد حاشيته. فينسحب هذا الأخير الى مركب ليزيماك).

هيليكانوس : حتماً، لا فائدة من كل هذا المسعى. مع ذلك لن نتأخر عن تجربة أية وسيلة قد تؤدّي الى مواساته. لكن، بما أننا أمعنّا الى هذا الحدّ في اللجوء الى لطفكم، اسمحوا لنا بأن نلتمس منكم منّة أخرى. وتفضلوا بقبول هذا الذهب منّا لتؤمّنوا لنا بعض المؤن. وذلك، لا لأننا لم يبقَ لدينا منها شيء، بل لأنها أضحت قديمة وباتت تُتعب معدتنا.

ليزيماك : لعمري، إنْ رَفَضْنا أن نقدم لكم هذه الخدمة التي تدل على اللياقة وحسن النية، فان عدل السماء سيتيح للديدان والحشرات أن تأكل مزروعاتنا عقاباً على تقصيرنا نحوكم. على كل حال اسمحوا لي بأن أكرر سؤالي والحاحي للوقوف على أسباب حزن ملككم.

هيليكانوس : اجلس، يا مولاي، لأروي لك ما جرى. غير أن طارئاً مفاجئاً يمنعني الآن عن ذلك.

(يصِل من المركب الى السفينة أحد السادة ومارينا وصبية أخرى).

ليزيماك : ها هيذا الصبية التي أرسلت في طلبها. أهلاً بك، أيتها الحسناء، أوليست فتاة حلوة؟

هيليكانوس : بل هي سيدة آية في الجمال.

ليزيماك : أجل انها كما تقول. ولو كنت واثقاً بأنها من أسرة عريقة ومنبت نبيل لما رغبت في الاقتران بامرأة سواها، وأكون حينئذٍ أسعد الأزواج. أيتها الحسناء، يسعك أن تأملي بالحصول على كل ما نملكه من خيرات، لأن غايتنا أولاً وآخراً هي إبراء الملك من سويدائه. فاذا توصلّت بمهارة فنّك الى انتزاع الكلام من بين شفتيه ستحصلين على كل ما ترومين وتتمنين من مال وجاه.

مارينا : سأبذل كل جهدي، يا مولاي، وأستخدم كل معرفتي ومهارتي أنا ورفيقتي اذا سمحتم لنا بالدنوّ منه.

ليزيماك : دعوها تفعل ما تشاء. فالآلهة تمهّد لها سبيل النجاح. (يفسح الجميع مجالاً لمارينا التي تأخذ في الانشاد) هل انتبه الى موسيقاك؟

مارينا : كلاّ، لم يلقي علينا أية نظرة.

ليزيماك : شاهدوه كيف سيحاكيها.

مارينا : نهارك سعيد، يا سيدي، أصغي اليّ.

بيريكليس : ها ها.

مارينا : أنا صبيّة، يا مولاي، لم أتوسّل حتى الآن الى أي انسان أن يتأمّلني كشخص يسترعي الانتباه. وأكلمك بعد أن عانيت آلاماً تعادل أحزانك، اذا وضعت في كفتيْ الميزان. ومع أن الحظ السيئ حطّم معالم مصيري، يسعني أن أعلن لك بأن أجدادي كانوا في مصافّ

أبرز الملوك. لكن الزمان جار علينا واقتلع جذور أسرتي أثناء كارثة نزلت بهم وجعلتهم من المستبعدين في هذه الدنيا العاتية... (على حدة). أقف بقصتي عند هذا الحدّ. لأن هناك أمراً يجعل خدّي يحمرّان من شدّة الخجل ويرنّ صداه في أذنيّ قائلاً : لا تكرري ما قد جرح فؤادك ».

بيريكليس : مصيري أنا من ناحية أسرتي النبيلة يوازي مصيرك. أليس كذلك؟ ماذا قلت؟

(يبعدها عنه).

مارينا : قلت، يا سيدي، انك إن عرفت أصلي لن تعاملني معاملة خشنة.

بيريكليس : هذا ما أنوي عمله. حوّلي مرة أخرى أنظارك اليّ. فأنت تشبهين شخصاً كان... من أية مدينة أنت؟ وهل من هذا الساحل؟

مارينا : كلا، لست من أي ساحل، مع اني وُلدت وسط الأسى بشكل مأساوي، ولست سوى ما يدلّ عليه مظهري.

بيريكليس : الألم يسحق قلبي، ولا بد لي من أن أسرّى عن كربتي بالدموع. كانت زوجتي العزيزة تشابهك، أيتها الصبية. ولو كانت ابنتي لا تزال اليوم على قيد الحياة لكانت نظيرك تماماً. فهذا جبينك يماثل جبهة مليكتي، وقوامها يكاد يكون كقوامك مستقيماً كالعصا، وصوتك الرنّان

أيضاً يذكّرني بصوتها، وعيناها مثل جوهرتين تبرقان كعينيك ضمن إطارهما الجذّاب. وكذلك مشيتك تحاكي مشيتها كالآلهة جينون. وأخيراً لهجتك لدى كل كلمة اسمعها من فمك تؤكد لي وجه التقارب بينك وبينها. فأين تقيمين؟

مارينا : هنا حيث لا أُعتبر سوى غريبة. ومن ذاك الجسر تستطيع أن تشاهد المكان الذي أسكنه وأشير اليه.

بيريكليس : أين ربيتِ، وكيف اكتسبت هذه المهارة التي تبرزين جيداً معالمها الفريدة؟

مارينا : اذا رويت لك قصتي ستظنها من نسج الخيال أو إحدى الخرافات الأسطورية التي يزدريها المرء حالما يطّلع عليها.

بيريكليس : أرجوك أن تتكلّمي، لأني لا أرى أي تلفيق في حديثك، وأنا واثق بأن مظهرك متواضع كالعدالة، وانك كمملكة مزدهرة تتربّع على عرشها الحقيقة الناصعة. اني أصدق كل كلمة تقولينها، وأحمل ذاتي على الايمان بروايتك حتى النقاط التي تبدو مستحيلة الوقوع. لأنك تشابهين شخصاً أحببته بكل جوارحي. من هم أهلكِ؟ ألم تصرّحي، عندما أقصيتك عني، بأنك سليلة أسرة مجيدة؟

مارينا : أجل صرّحت بذلك.

بيريكليس : إكشفي إذاً عن حقيقة نسبك. إذ خُيّل الي انك ألْمحت الى ما قاسيت من آلام مبرّحة، وما تحمّلت من اهانات

قارسة. فقدّرت بأن شدائدك تعادل ما حلّ بي من مصائب فادحة، اذا قورنت فيما بينها.

مارينا : أجل، قلت ما يشابه هذا. ولم أصرّح بما لست مقتنعةً بصحته الأكيدة.

بيريكليس : هيا، أروي لي قصتك التي إن تفحّصتها وجدتها تكوّن جزءاً من ألف جزء مما حدث لي. فأنت تظهرين كالرجل القوي. بينما أنا أبدو كأني فتاة حسّاسة للغاية. مع ذلك أنا على يقين تامّ بانك أقرب الى الأزعان والامتثال عند التأمل في ضريح أحد الملوك، والى تجريد الأسى من القنوط بعذوبة الابتسام. والآن أعلميني من هم والداك؟ وكيف فقدتهما؟ أوّلاً ما اسمك، أيتها العذراء الحلوة؟ استحلفك أن تطلعيني على كل خفاياكِ. تعالي اجلسي الى جانبي.

مارينا : يا مولاي، اسمي مارينا.

بيريكليس : آه. هذه ضربة قاسية لا بد من أن بعض الآلهة الغضبى قد أرسلتك للإمعان في تعذيبي، ولجعلي أضحوكة في نظر كل الناس.

مارينا : صبراً، يا مولاي، وإلّا سكتُّ وما بحت لك بأي تفصيل آخر.

بيريكليس : أجل، سأصبر. ليتك تدرين كم تثيرين من الأشجان في أعماقي، لأنك تدعين مارينا.

مارينا : ان الذي دعاني مارينا شخص ذو سلطان، هو أبي، وقد كان ملكاً مبجّلاً.

بيريكليس : تقولين انك ابنة ملك، وان اسمك مارينا. هذا أمر غريب جداً.

مارينا : لقد أكّدت لي انك تصدّقني. ولكي لا أضاعف اضطرابك، أكتفي بما كشفته لك من سرّي.

بيريكليس : هل أنت حقاً بشر من لحم ودم؟ وهل نبضك يدقّ فعلاً؟ أوَلست جنّيّة أو وهماً؟ هيا تابعي كلامك. أين وُلدتِ ولماذا تدعين مارينا؟

مارينا : دُعيت مارينا لأني وُلدت فوق أمواج البحر.

بيريكليس : فوق أمواج البحر؟ ومن كانت أمّك؟

مارينا : كانت هي أيضاً ابنة ملك، وماتت في لحظة رؤيتي نور الحياة، كما أخبرتني بذلك مراراً مرضعي ليكوريدا، وهي تبكي بمرارة.

بيريكليس : أرجوك أن تتوقفي قليلاً. (على حدة) هذا واقع أغرب من الحلم والخيال الذي لم يُنْسني إياه كل ما عراني من شديد الحزن. هذا لا يُصدَّق، لأن ابنتي ماتت ودُفنت. (بصوت مرتفع) حسناً. أين ربيت؟ أريد أن أستمع الى روايتك حتى نهايتها بدون أن تتوقفي بعد الآن.

مارينا : بما أنك يصعب عليك أن تصدقني، فالأجدر بي أن أتوقّف عن الكلام نهائياً.

بيريكليس : أنا أصدّق قولك حتى آخر حرف تتلفّظين به. مع ذلك اسمحي لي بأن أسألك كيف أتيت الى هذه الديار؟ والمهم أن أعرف أين ربيت؟

مارينا : أبي الملك تركني في طرسوس، حيث حاول كليون الخبيث وزوجته اللئيمة أن يقتلاني. فأقنعا وكلّفا بذلك أحد الأشقياء. وحين انتضى المجرم خنجره ليطعنني، فاجأته عصابة من القراصنة الذين أنقذوني منه واقتادوني الى ميتيلان. فماذا تريد مني، يا سيدي الكريم؟ لماذا تصرّ على معرفة كل ما يتعلق بي، وأنت تبكي؟ ربما تظن اني ارتكبت بعض الموبقات؟ كلا، كلا. أقسم لك بأعز ما لديّ اني ابنة الملك بيريكليس، اذا كان هذا الملك قد وجد في يوم من الأيام.

بيريكليس : إليّ، يا هيليكانوس.

هيليكانوس : هل ناداني مولاي؟

بيريكليس : أنت مستشار نبيل حازم وبعيد النظر. قل لي، إن أمكنك، من هي أو من تكون هذه الفتاة التي استدرّتْ دموعي هكذا؟

هيليكانوس : لست أدري. لكن، يا مولاي، ها هوذا حاكم ميتيلان يثني عليها بشكل لم يسبق له مثيل.

ليزيماك : لم تشأ أبداً هذه الصبيّة أن تبوح لي باسم عائلتها. فكلما طلبت منها أن تصرح لي بذلك، لازمتِ الصمت وذرفت الدموع السخينة.

بيريكليس : يا هيليكانوس الوقور، أقرصني أو إجرحني وأوجعني لأوقن بأني لا أحلم. فلا يجرفني سيل الفرح الذي يطغى على حزني العميق ويغرقني في بحر من البهجة

غير المتوقّعة. هيا تعالي اليّ، يا من رددت الحياة الى من منحك نفحة الحياة قبل أعوام، يا من وُلدتِ فوق أمواج البحر، ودفنت في طرسوس ثم وجدتِ مرة ثانية فوق الأمواج. يا هيليكانوس، اركع أمامي على ركبتيك وأشكر الآلهة المقدّسة بصوت عالٍ كهزيم الرعد الذي يهدّد كياننا. ها هي مارينا... ما اسم والدتك؟ اذكريه لي وهذا يكفيني للاقتناع بالحقيقة التي لا يمكن أن تكون إلّا هكذا. مع ان حكايتك لم تترك لحظة في صدري أي شك.

مارينا : أولاً، قل لي أنت بصراحة، يا مولاي، ما اسمك؟

بيريكليس : أنا بيريكليس ملك صور. فقولي لي أنت الآن يا من لمست في حديثك صدق الآلهة، قولي لي ما اسم مليكتي والدتك التي ماتت غرقاً، وتصبحين بدون منازع وريثة عرشي، وتعيدين الروح الى أبيك الملهوف.

مارينا : أولَم يبقَ لأكون ابنتك إلا أن أذكر لك اسم أمي: ان اسمها ثايسا أجل ثايسا هو اسم أمّي، وقد انتهت حياتها عندما بدأت حياتي.

بيريكليس : تباركتِ أيتها الصبية الحبيبة. انهضي فأنت بدون أي شك ابنتي الغالية على قلبي. اعطوني ثياباً جديدة. هذه ابنتي، يا هيليكانوس. لم تمُتْ في طرسوس حسب روايا كليون الخائن. ستطلعني على كل ما جرى. وستجثو

على ركبتيك وتعترف بأميرتك (يشير الى ليزيماك). من هو هذا الرجل؟

هيليكانوس : حاكم ميتيلان الذي علم بحالتك التعيسة فجاء ليزورك مواسياً.

بيريكليس : دعني أعانقك، يا سيدي. اعطوني ملابسي الملكية. فلقد استحوذت عليّ الدهشة... أيتها السماء باركي ابنتي. لكن اسمعوا. ما هذه الأنغام الشجية؟ اشرحي مسألتك لهيليكانوس، يا مارينا، مرحلة فمرحلة اذ يبدو عليه انه لم يقتنع بعد بأنك ابنتي الحبيبة. لكن، قولوا لي، ما هذه الموسيقى؟

هيليكانوس : أنا لا أسمع أية ألحان، يا مولاي.

بيريكليس : ألا تسمع الموسيقى؟ إنها ألحان رخيمة. انصتي، يا مارينا، الى هذه الأنغام الحلوة.

ليزيماك : يجمل بي أن لا أخالفه، بل يتحتّم علي أن أسايره.

بيريكليس : هذه أعذب ألحانٍ اطربتني حتى الآن. ألا تسمعونها؟

ليزيماك : الموسيقى؟ أجل، اني أسمعها، يا مولاي.

بيريكليس : هي ألحان سماوية تسكرني نبراتها السحرية التي تأسر الألباب. ها أنا أشعر بالنعاس يُثقل أجفاني. دعوني آخذ قسطاً من الراحة.

(ينام).

ليزيماك : هاتوا وسادة ليُسند اليها رأسه المتعب. وهيا بنا نتركه

جميعاً وحده كي يستريح فترة. هيا بنا، يا خلاّني، وأصحابي. هذا الحدث ينطبق تماماً على ما أفكّر به. سأتذكّركم جميعاً ولن أنسى هذه اللحظة أبداً.

(ليزيماك وهيليكانوس ومارينا ورفيقتها الصبية، كلهم يتعدون).
(تظهر الإلهة ديانا كرؤيا لبيريكليس النائم).

ديانا : عجّل في الذهاب الى معبدي في أفسس وقدّم الذبائح على هياكلي المباركة. وهناك عندما تجتمع كاهناتي العذارى، أثناء حضور كل الشعب الملتئم، أعلن كيف فقدت زوجتك في البحر واستمطر شآبيب الرحمة على شقائك وعلى تعاسة ابنتك وأنت تُصفها وصفاً حيًّا مفصّلاً رائعاً. ثم نفّذ أوامري، وإلا عشت في البؤس والشقاء. أطعْني، وأنا أقسم لك بقوسي الفضي أن تكون أسعد الخلائق. استفق الآن وأخبرنا ماذا رأيت في الحلم.

(تغيب ديانا)

بيريكليس : سأطيع أوامرك أيتها الإلهة الفضّية ديانا السماوية... يا هيليكانوس.

هيليكانوس : مولاي.

بيريكليس : كان بودّي أن أذهب الى طرسوس لأعاقب كليون الخائن الغدّار. غير أن هناك واجباً آخر عليّ أن أقوم به. أديروا الأشرعة نحو أفسس وسأعلن لكم قريباً لماذا أذهب اليها. (لليزيماك) اسمح لنا، يا سيدي، بأن نتموّن من شاطئكم، ونشتري ما نحتاج اليه في رحلتنا.

ليزيماك : أمرك مطاع، يا مولاي. وعندما تنزلون الى اليابسة، سأوجّه اليك بدوْري طلباً عزيزاً على قلبي.

بيريكليس : ستتحقق أمنيتك، حتى إن كانت مغازلة ابنتي. اذ يبدو أنك تصرفت حيالها بشرف ولياقة.

ليزيماك : استند الى ذراعي، يا مولاي.

بيريكليس : تعالي، يا عزيزتي مارينا.

(يخرج الجميع).

المشهد الثاني

يدخل غوير

غوير : الآن فرغ سقوط رملنا في المرملة
وبعد قليل يؤذن بانتهاء المسألة.
فجودوا علي بمنحة أخيرة كريمة
اذ لا بدّ من هبوبكم بنيّة سليمة
الى نجدتي. ثم تصوروا أروع الحفلات
والأغاني الساحرة وصاخب التسليات
التي أقامها الحاكم في ميتيلان
على شرف الملك وابنته القادمين بأمان
بمناسبة نيله يد الحسناء مارينا كزوجته
غير أنه انتظر حتى يقدّم ذبيحته

حسب تقاليد ديانا. وها قد ودّعت الملك،
فتصوّروا ما جرى أثناء الفرحة تلك
إذ ساقت الرياح أمامها الأشرعة
فأثلجت الأحداث صدور الأحبة مجتمعة
في معبد أفسس الفخم الفسيح
حيث سرعان ما وصل بيريكليس ليستريح
قبل الاحتفال الذي أترك لمخيلتكم
أن تستعيد أحداثه التي تفرحكم.

(يخرج).

المشهد الثالث

في معبد ديانا بأفسس

(ثايسا واقفة قرب الهيكل بصفتها كبيرة الكاهنات وعلى طرفي الهيكل عدد من العذارى، وبين الحضور سيريمون وغيره من أهالي أفسس يدخل بيريكليس وحاشيته وليزيماك وهيليكانوس ومارينا مع رفيقتها).

بيريكليس : السلام عليك، يا ديانا. حسب وصيتك الصالحة، أعترف هنا بأني أنا ملك صور، بعد أن طردني الإرهاب من مملكتي، اقترنت في بنتابوليس بثايسا الحسناء التي ماتت على أثر ولادتها ابنتي التي دعوتها مارينا، وهي الآن

ترتدي ثوبك الفضي. وفي طرسوس ربّاها كليون الذي عندما بلغت ربيعها الرابع عشر شاء أن يهلكها. غير أن حسن حظها قادها الى ميتيلان، ذات يوم، ونحن أمام هذه المدينة. ثم شاءت الظروف أن توصلها الى سفينتنا، حيث أسعدتني الأحوال بالتعرف الى ابنتي وفلذة كبدي.

ثايسا : الصوت والملامح هي... أنتَ... أنتَ.. يا صاحب الجلالة بيريكليس...

(يغمى عليها).

بيريكليس : ماذا تقول هذه المرأة؟ ها هي تموت. النجدة، يا سادة، النجدة.

سيريمون : أيها المولى النبيل، إن كنت بالصواب نطقت عند هيكل ديانا، فهذه المرأة تكون زوجتك.

بيريكليس : كلاّ، أيها المتحدّث الوقور. هذا غير ممكن. إذْ اني بيديّ هاتين قد القيت بجثمانها الى البحر.

سيريمون : وعلى هذا الشاطئ، أؤكّد لكم أننا وجدناها.

بيريكليس : هذا لا يقبل أدنى شك.

سيريمون : إسهروا على راحة هذه السيدة. فان اغماءها ناجم عن شدّة الابتهاج. في فجر ذات صباح، أُلقيتْ هذه المرأة إلى هذا الشاطئ. وفتحت أنا نعشها ووجدت داخله جواهرها الثمينة، فأسعفتها وأعدتها الى الحياة، وأدخلتها الى معبد ديانا هذا.

بيريكليس : هل بالامكان أن أشاهد الجواهر التي تتكلم عنها؟

سيريمون : أيها المولى الوقور، ستصل عما قليل الى منزلي حيث أدعوك الى الذهاب بصحبتي. أنظروا. ها قد ثابت ثايسا الى وعيها.

ثايسا : أرجوكم أن تدَعُوني أراه. فاذا لم يكن الشخص الذي أظنّه، فان طبعي البعيد عن الانسياق وراء حواسّي سيضطرّني الى التغاضي عنه رغم اني أرى بأمّ عيني انه هو. أرجوك، يا سيدي أن تُصدقني الحقيقة : أولستَ بيريكليس؟ فصوتك يشابه صوته، وملامحك كأنها ملامحه. أولَم تتحدّث عن عاصفة وعن ولادة وعن موت؟.

بيريكليس : هذا هو صوت المتوفاة، صوت ثايسا.

ثايسا : أجل، أنا ثايسا التي اعتُبرتْ انها ماتت غرقاً.

بيريكليس : يا ديانا الخالدة، أعينيني.

ثايسا : الآن تعرفت اليك بصورة أفضل... عندما غادرت بنتابوليس والدموع تملأ عينيّ، أعطاك أبي خاتماً مثل هذا.

(تريه الخاتم)

بيريكليس : ها هو، ها هو. كفى، أيتها الآلهة المجيدة. ان كرمك الحاضر يداعب مآسيّ الماضية. فاشفقي على شعوري واجعليني أذوب شوقاً وسعادة عندما ألامس شفتيها كأني

في غيبوبة. تعالي لأضمّك الى صدري مرة ثانية وألقي برأسك على كتفي.

مارينا : قلبي يخفق سريعاً بين ضلوعي كأنه يريد أن يقفز الى حضن أمّي.

(تركع أمام ثايسا).

بيريكليس : انظري الى من يجثو أمامك ها هنا. انها قطعة من لحمك، يا ثايسا، وقد وضعتها أنتِ فوق البحر، ودعوتُها أنا مارينا لأنها جاءت الى هذه الدنيا فوق الأمواج المتلاطمة.

ثايسا : تباركتِ، يا ابنتي.

هيليكانوس : أحيّيكِ، يا سيدتي ومليكتي.

ثايسا : أنا لا أعرفك.

بيريكليس : لقد سمعتِني أقول اني عندما غادرت صور تركت فيها وكيلاً عجوزاً. هل تذكرين الإسم الذي خلعته عليه؟ لقد كرّرته مراراً على مسامعك.

ثايسا : هيليكانوس، على ما أظن.

بيريكليس : ها هوذا برهان جديد. عانقيه يا عزيزتي ثايسا. انه هو بعينه. والآن أودّ أن أعرف كيف وُجدت وعدتِ الى هنا. وكيف تسنّى لك أن تخلصي ومن يجب عليّ أن أشكر غير الآلهة الكرام على هذه المعجزة العجيبة؟

ثايسا : السيد سيريمون، يا مولاي. فهو الذي قيّضته لي السماء

لإظهار قدرتها. وبإمكانه أن يشرح لك الأحداث برمّتها.

بيريكليس : أيها المولى الفاضل الوقور، لا أظن أن للآلهة نائباً بين البشر يشبهها أكثر منك. هيا، أخبرنا كيف عادت الى الحياة هذه الملكة التي اعتبرناها متوفّاة.

سيريمون : سأروي لك ذلك، يا مولاي. لكني أرجوك أن تتفضّل أوّلاً وترافقني الى منزلي حيث أريك ما وُجد الى جانبها، وأخبرك كيف وصلت الى هذا المعبد، مع ذكر أدقّ التفاصيل اللازمة.

بيريكليس : يا ديانا الطاهرة، أباركك على ظهورك أمامنا. سأقدّم لك صلواتي الليلية (يشير الى ليزيماك) ثايسا، هذا الأمير هو خطيب ابنتك. وستُزفّ اليه في بنتابوليس. والآن، عليّ أن أقصّ شعري الطويل، يا حبيبتي مارينا، وأحلق لحيتي التي لم تمسّها موسي منذ أربعة عشر سنة وأن أتسربل بأبهى حللي اكراماً لعرسك.

ثايسا : علم السيد سيريمون من رسالة موثوق بها بأن أبي مات، يا مولاي.

بيريكليس : أسأل الآلهة أن تجعل منه كوكباً نيّراً. سنحتفل بقرانهما في مملكته بالذات حيث سنختتم أيامنا في هذا العالم، ونفسح المجال لصهرنا وعروسه ابنتنا كي يملكا على صور. يا سيدي سيريمون، نرجوك أن تؤجّل بعض الوقت سرد باقي الرواية التي ننتظرها بفارغ الصبر. والان تفضّل، يا سيدي، بافتتاح مسيرة الموكب.

(يخرجون).

(يدخل غوير).

غوير : في شخص انطيوخوس وابنته، لقيتم جزاء التهتّك البغيض. وفي شخص بيريكليس وزوجته وابنته، بعد ما قاسوه من مرّ العذاب والشقاء، وجدتم مكافأة الفضيلة التي صانها أصحابها من العنف والهلاك المحتّم، برعاية السماء التي كلّلت صلاحهم بتاج البهجة والسعادة. وفي ملامح هيليكانوس تجلّت المروءة والشهامة والأمانة. وكذلك في محيا سيريمون ما تستحقّه دائماً رحمة الانسان الحكيم. أما المجرم كليون وزوجته، فحالما افتضحت خيانتهما وتجلّى مجد بيريكليس، غضب المواطنون عليهما ولم يترددوا في إحراق قصرهما بما فيه من سكان وكنوز مجموعة بالحرام. وهكذا أظهرت الآلهة مشيئتها في الاقتصاص ممّا يرتكبه الأشرار من جنايات عن سابق تصميم واصرار. وعلى هذا الأساس نستعطف باستمرار سماحتكم ونتمنى لكم دوام العزّ والهناء في دياركم العامرة، اذ انتهت القصة عند هذه الخاتمة بسلام.

(تمت)

33